

الاسلام

وَالْبَشَرِيَّةُ أَحْزَابُ

عَبْدُ الْوَهَّابِ عَبْدُ السَّلَامِ طَوِيلَةَ

دَارُ السَّلَامِ

لِلطَبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالتَّرْجُمَةِ



Ref 51/2006

IOWA (6)

الإسلام
والبشرية أم حاضرة

كَافَّةُ حُقُوقِ الطَّبْعِ وَالنَّشْرِ وَالتَّرْجُمَةِ مَحْفُوظَةٌ

لِلنَّاشِرِ

دَارُ السَّلَامِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالتَّرْجُمَةِ

لصاحبها

عَبْدُ الْغَادِرِ مُحَمَّدُ الْبَكَارُ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران

عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشريبي - مدينة نصر

هاتف : ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع

مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين

هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريدنا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

دَارُ السَّلَامِ

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت

على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة

أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ،

٢٠٠١م هي عثر الجائزة تكريماً لمقد

ثالث مضى في صناعة النشر

الاستبصار والبشرية الحاضرة

تأليف
عبد الوهاب عبد السلام طويته

دار السبيل
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

(17)

130.7

14.7

130.0

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين ، خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وفطره على الحق ، وزينه بالعقل ، وجعله مناط المسؤولية ، وأكرمه بالشرع ليكتسب منه علماً وإدراكاً ، فلم يخلقه عبثاً ، ولم يتركه هملأً ، بل كان له في ذلك كله تكليف وتشريف ، إذ لا يُحاسب إلا من له كيان ، ولا يُعْتَب إلا على من ينظر إليه باهتمام . والصلاة والسلام على صفوة البشر الذين اختارهم الله ، فنبأهم وأرسلهم هداة للناس ، يأخذون بأيديهم إلى الحق والخير ، ويبعدونهم عن الباطل والشر ، يحلون لهم الطيبات ويحرمون عليهم الخبائث ، يرشدونهم في الدنيا إلى ما فيه مصالحهم ، ويهيئونهم للظفر بسعادة الآخرة .

وكان من حكمة الله سبحانه أن بعث في كل أمة رسولاً منهم إليهم خاصة ، يدعوهم إلى عبادة خالقهم وحده ، وقيم عليهم حجته . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] ، ثم ختم الأنبياء بمحمد ﷺ فأرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً للناس كافة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤] ، وأنزل عليه شريعة

كاملة شاملة كل نواحي الحياة ، وهي صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان ، فكان كما قال الله تعالى له : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

إن التأمل في أحوال الناس وما أصابهم من العنت والتردي في هوة الشقاء والحيرة والتمزق ليعجب ويتساءل : إذا كان دين الإسلام عالميًا ، وفيه سعادة المعاش والمعاد ، فلماذا لا يُمحّص الناس في أمورهم ويقبلوا على دراسته بموضوعية وتجرد ، بل لِمَ يُكفّر له أكثر الغربيين الحقد والكراهية مع أنهم قطعوا في التقدم المادي شوطًا كبيرًا ؟
والجواب يتلخص في أمرين :

١ - الجهل بحقيقة الإسلام ، فمن جهل شيئًا لم يقدره حق قدره ، ولم يعرف قيمته . ويعود سبب الجهل إلى ناحيتين :
أ - تقصير المسلمين في الدعوة الحكيمة إلى الله بالأقوال والأفعال مع أنها فرض كفاية ، حتى إن من اعتنق الإسلام ليشكو من انعدام الوسائل التي تُعرّف بالإسلام .

قال المفكر الفرنسي الدكتور موريس بوكاي بعد أن اعتنق الإسلام : إن المعطيات الخاصة بالإسلام مجهولة عمومًا في بلادنا الغربية ، ولا يدهشنا ذلك إذا تذكرنا الطريقة التي اتبعت في تثقيف الأجيال الكثيرة ، وكيف فرض عليهم الجهل في كل ما يمس الإسلام .

ب - بلوغهم الخبر بشكل مشوه ، فإن أكثر أساتذة الدراسات الشرقية في الجامعات الأوربية والأمريكية غير مسلمين ، بل من المعادين والمغرضين ، فماذا تنتظر منهم غير تشويه الحقائق . والطعن المستمر بمختلف الأساليب . ولذلك تجد أكثر الغربيين إذا تحدثوا عن العلم والدين أغفلوا الإسلام بسبب انطباعاتهم المبنية على مفاهيم مغلوطة .

قال المفكر موريس بوكاي : إن كثيرًا من النصارى الذين تربوا في ظروف عدائية صريحة للمسلمين هم أعداء لكل تأمل في الإسلام .

٢ - اتباع الهوى والمظاهر البراقة ، فقد ظن كثير من الناس أن التطور في العلوم والمعارف والتقدم المادي هي الحضارة التي يجب الوصول إليها لسعادة الإنسان دون غيرها . وهذا جهل منهم بحقيقة الإنسان وحاجاته ، فقد استخدم الناس في الغرب وغيره معظم ما وصل إليه التقدم ، ومارسوا وسائل الترفيه ، لكنهم لم يعثروا على أثر روحي يطفئ ظمأ قلوبهم ، وإنما أضاعوا أنفسهم بتلهفهم وراء الظواهر المادية الخادعة ، ونسيانهم الحقائق الكامنة في نفوسهم ، جفاف وقلق واضطراب واكتئاب وعُثْيَان .. وعبادات نفسية تزداد يومًا بعد يوم ، تلك هي الحصيلة الوحيدة لما يحسبه التائهون حياة ، وما هي من الحياة في شيء ، كما قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾ [الروم: ٧] ولا يريدون أن يتعبوا أنفسهم بالبحث والتدقيق ، فمتى يمكن أن تتضح الصورة النقية للإسلام في أذهان الناس والحالة هذه وكيف !؟

ما زال أكثر أهل الكتاب من يهود ونصارى يرفضون الاعتراف بنبوة محمد ﷺ ودينه ، وتنعكس هذه الصورة في أذهان الغربيين حيث تأتي الحملات التبشيرية إلى بلاد المسلمين لتنصيرهم ، مع أن الغربيين أنفسهم قد أعرضوا عن دينهم ، وأهملوه في بلادهم وأنفسهم ، فلا يقيمون شيئاً منه في شؤونهم الخاصة والعامة باستثناء بعض الطقوس في كنائسهم من أجل مناسبات خاصة ، لا تزيد عن كونها صوراً ظاهرية خالية من الروح .

تقف البشرية اليوم حائرة بعد أن عجزت الديانتان اليهودية والنصرانية عن هداية أتباعهما القلبية ، وعن إذهاب القلق والاكتئاب من نفوسهم ، فضلاً عن هداية الآخرين ، بسبب ما اعترى أسفارهما من تحريف ، وأشد منهما عجزاً الديانات الوثنية على اختلاف نحلها ، والمناهج الوضعية والفلسفات المتهاففة التي لا تليق بِنُضْجِ الإنسان علماً وعقلاً ، فضلاً عن كونها لا تشبع له روحاً ، ولا تقنع له عقلاً ، ولا توقظ له ضميراً ، ولا تزيده مع الأيام إلا تخبطاً وضلالاً وخبالاً . فأين المنقذ ؟

إنه الإسلام ، فمحسوا في أمركم وتعالوا إلى دراسته ،

فهو دين الله وقد وعى هذه الحقيقة كثير من المفكرين ، فدخلوا في دين الله وانطلقوا دعاة غير عابئين بضعف المسلمين ، إن من أوجب الواجبات دعوة البشر الذين يغفلون عما حولهم إلى دين الله ، وتنبيههم إلى النهاية الحتمية لهم ، وترغيبهم وحثهم على دراسة دلائل نبوة محمد ﷺ ومعرفة دينه ، فمن تتبع سيرة هذا الرجل وتدبرها من يوم ولد إلى أن بعث ، ومن حين بعث إلى أن انتقل إلى جوار ربه ، وفكر في نسبه وأصله وفصله وبلده وما جرى له وما انتهى إليه أمره ، وأنعم النظر في القرآن الكريم الذي أنزله الله عليه ، وفي الشريعة التي أوحى بها إليه بتجرد وموضوعية وإنصاف ، وصل إلى طمأنينة القلب بصدقه وحكمة ما جاء به ، ولعل أنجع وسيلة للتأثير في أهل الكتاب إقناعهم بأن محمداً ﷺ هو النبي الموعود الذي بشرت به أنبياءهم وأسفارهم ، وأن القرآن الكريم هو كلمة الله الأخيرة إلى البشرية التي لم يتطرق إليها تحريف ولا تبديل ، وأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للناس ، لا يقبل منهم غيره .

وهذا الكتاب مساهمة موجهة للباحثين ، ولاسيما غير المسلمين أذكر فيه حاجة البشرية إلى النبوة ، وأوضح دلائل نبوة محمد ﷺ المتنوعة ، ثم أختمه بتعريف عام موجز بدين الإسلام ، وقد توخيت فيه إبراز المزية الفريدة

للإسلام ، ألا وهي أنه ليس مجرد دين رוחي يربط الإنسان بخالقه فحسب ، بل هو بالإضافة إلى ذلك نظام كامل للحياة وتشريع لجميع جوانبها ، يربط الإنسان بخالقه في جميع أحواله وظروفه ، كما توجب فيه إزالة الشبهات التي يثيرها أعداؤه حوال النظم الإسلامية ومنها الجهاد ، فإن دراسة تلك النظم وبيان أحكامها وتوضيح حكمتها وأهدافها وخصائصها وما نتج من تطبيقها العملي على مدى التاريخ مع استعراض جوانب من سيرة النبي ﷺ يدحض تلك الافتراءات ويوضح الفرق بين الجهاد المشروع والظلم الممنوع ، ولا تعدو غايتي أن تكون دعوة إلى بحث واستقصاء بروح من المحبة والتجرد ، ليزداد الذين آمنوا إيماناً مع إيمانهم ، وليكون غير المسلم على مفترق الطرق ، فإما أن يكون صادقاً مع نفسه سديداً في فكره منصفاً في حكمه راغباً في نجاته فيسلم بالحقائق ، وإما أن يكابر ويصر على جحوده عناداً وتكبراً ، وهذا ليس من شأن العقلاء .

* * *

الاسلام والبشرية الحاضرة

القسم الأول

البشرية والنبوة

ويحتوي على الفصول التالية :

- النبوة والعقل .
- دلائل نبوة محمد .
- بشارات الأنبياء به .
- البعثة وادوار الدعوة .

الإسلام والبشرية أمحارة

الفصل الأول

النبوة والعقل

- ويحتوي على الفروع التالية :
- الفطرة والعقل والإيمان بالخالق .
 - ضرورة النبوة .
 - صفات الأنبياء .

الفطرة والعقل والإيمان بالخالق

توطئة :

يذكر التاريخ وتتناقل الأجيال خلفاً عن سلف أنه ظهر على مر الزمن رجال دعوا أقوامهم إلى عبادة الله الواحد خالق الأكوان والعوالم ، ودعواهم إلى تحكيم العقل والفطرة ، وأرشدوهم إلى الحق والخير والعدل عن طريق ما أنزل الله عليهم من كتب ، وأوحى إليهم من تعاليم .

ويذكر التاريخ وتتناقل الأجيال أنهم كانوا من المعروفين والمشهورين بالأخلاق الحميدة والصفات الكريمة ، حتى إن من خالطهم أو عرفهم عن قرب وصفهم بأنهم صفوة بني الإنسان والمثل الأعلى له .

ويذكر التاريخ وتتناقل الأجيال أنهم كانوا يمتازون برجاحة العقل وقوة الحجة ، وقد زودهم الله بقوة خارقة لقوانين الطبيعة ، تحدوا الناس أن يأتوا بمثلها ، وجعلوها دليلاً على صدقهم وبرهاناً على رسالتهم .

الوجود الحق :

من نظر بعين الاعتبار إلى الأكوان والعوالم وما فيها من

بدائع الحكم وغرائب المخلوقات ودقيق الصنع مع العظمة والاتساع ، وعرف بعض ما فيها من أسرار ، ثم انتقل من ذواتها وأوصافها إلى الروابط العجيبة والدقيقة فيما بينها ، ولا سيما روابط جسمه ، خرج من كل ذلك أن لهذه الأكوان والعوالم خالقاً قادراً حكيماً ، واجب الوجود ، لأن المصادفة تتناسب عكساً مع دقة النظام واتساع الأكوان .

ولما كان الإيمان بالخالق من فطرة الناس ونتاج تفكيرهم أفاض القرآن الكريم في بيان صفات الله ﷻ ، ولفت الأنظار إلى حكمته البارة وأسراره العالية ، وحث على تجديد النظر ودوام التفكير . ومن ذلك ما يلي :

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ
السِّنِّكُمْ وَالْوَبُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الروم : ٢٢] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم : ٢٤] .

وقال جل جلاله : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[الذاريات : ٢١] .

فالإيمان بالله من أعظم ما تستدعيه مسألة خلق الناس ووجودهم وظواهر رزقهم وحياتهم ومماتهم وما يحيط بهم . وهو مما تقتضيه فطرتهم الصافية .

قال تعالى : ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [الروم : ٣٠] .

فلو ترك المولود وشأنه من غير أن تتدخل المؤثرات حوله لنشأ مؤمناً بالله الخالق ، وهذا هو الشعور الداخلي عند الإنسان ، والدين يلبي هذه الفطرة .

الإسلام دين التوحيد الخالص :

دعا القرآن الكريم إلى وحدانية صريحة منزهة عن أية شائبة ، واحتج بالفطرة الصافية التي فطرت على الإيمان بـإله واحد ، وخاطب العقل طالباً النظر في ملكوت الله ، ليدرك أن هذا الإبداع والتناسق في الأكوان والعوالم لا بد له من مبدع واحد في ذاته ، واحد في ألوهيته وربوبيته ، واحد في أسمائه وصفاته ، ليس له ند ولا شريك . وقد أفاض في الحديث عن وحدانية الله تعالى في خلقه ورزقه وإحيائه وإماتته وسائر تصرفه ، كما أفاض في وجوب إفراده بالعبادة والاستغاثة واللجوء .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ ۝ وَلَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ۝ وَمَا يَكُفُّ عَنْكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۝ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا

فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٠﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانْتَهَمُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾ [النحل: ٥٠ - ٥١] .

وقال سبحانه : ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١ - ٩٢] .

وقال جل جلاله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] .

الأنبياء جميعاً دعوا إلى التوحيد :

توالى رسل الله جميعاً يدعون إلى هذه الحقيقة الخالدة ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ من عهد آدم عليه السلام إلى عهد المسيح عليه السلام قبل أن يرفعه الله وبعد أن ينزله إلى الأرض ، ليقتل الدجال ويدعو إلى التوحيد ، ويحكم بالشرعية الإسلامية ، ولو نظرنا الآن إلى الكتاب المقدس عند أهل الكتاب بعهديه لوجدنا دعوة صريحة إلى التوحيد في كثير من النصوص ، رغم افتقار الكتاب إلى التوثيق وعرضته للتحريف . ومن ذلك ما يلي :

- جاء في سفر الخروج (٦/٣) أن الله قال لموسى حين بعثه : أنا إله أبيك ، إله إبراهيم ، وإله إسحاق ، وإله يعقوب .
- وفي (١/٢٠ - ٥) : ثم تكلم الله بجميع هذه

الكلمات قائلاً : أنا الرب إلهك الذي أخرجك من مصر ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ؛ لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما .. لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأنني أنا الرب إلهك إله غيور .

(١٣/٢٣) : ولا تذكروا اسم آلهة أخرى ولا يُسمع من فمك .

● وجاء في سفر اللاويين (١/٢٦) : لا تصنعوا لكم أوثاناً ، ولا تقيموا لكم تماثلاً منحوتاً أو نصَباً ، ولا تجعلوا في أرضكم حجراً مُصَوَّراً لتسجدوا له ، لأنني أنا الرب إلهكم .

● وجاء في سفر التثنية (٢٣/٤ - ٢٤) : احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذي قطعه معكم وتصنعوا لأنفسكم تماثلاً منحوتاً ، صورة كل ما نهاك عنه الرب إلهك ، لأن الرب إلهك هو نار آكلة إله غيور .

وفي (٦/٥ - ٩) : أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من مصر ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تماثلاً منحوتاً صورة ما .. لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأنني أنا الرب إلهك إله غيور .

وفي (٤/٦ - ٥) : الرب إلهنا رب واحد ، فتحب الرب إلهك من كل قلبك .

(١٣/٦ - ١٤) : الرب إلهك تتقي ، وإياه تعبد ،

وباسمه تحلف ، لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم ، لأن الرب إلهكم إله غيور .

(١٦/١١ - ١٧) : فاحترزوا من أن تنغوي قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها ، فيحمر غضب الرب عليكم .

(٤/١٣) : وراء الرب إلهكم تسيرون ، وإياه تتقون ، ووصاياه تحفظون ، وصوته تسمعون ، وإياه تعبدون .

(٣٩/٣٢ - ٤٠) : انظروا الآن ، أنا أنا هو ، وليس إله معي ، أنا أميت وأحيي .. إني أرفع إلى السماء يدي وأقول : حي أنا إلى الأبد .

● وجاء في إنجيل متى (١٠/٤) أن المسيح قال لإبليس : ابتعد عني يا شيطان ، لأن الكتاب يقول : للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد .

● وجاء في إنجيل مرقس (٢٩/١٢ - ٣٠) : فأجاب يسوع : الوصية الأولى هي اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا هو الرب الأحد ، فأحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل فكرك وكل قدرتك .

● وجاء في إنجيل يوحنا (٣/١٧) : والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك ، ويعرفوا يسوع المسيح الذي أرسلته .

● وجاء في رسالة بولس إلى رومه (٢٩/٣ - ٣٠) :
أَمَّا هُوَ إِلَه سَائِرِ الْأُمَمِ أَيْضًا ؟ نَعَمْ هُوَ إِلَه سَائِرِ الْأُمَمِ أَيْضًا ،
لَأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ يُرَبِّرُ الْيَهُودَ بِالْإِيمَانِ كَمَا يُرَبِّرُ غَيْرَ الْيَهُودِ
بِالْإِيمَانِ أَيْضًا .

● وجاء في رسالة بولس إلى غلاطية (٢٠/٣) :
وَالْوَسِيطُ يَفْتَرِضُ أَنَّ يَكُونُ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ ، وَاللَّهُ وَاحِدٌ .
● وجاء في رسالة يعقوب (١٩/٢) : أَنْتَ تَوَظَّنُ أَنَّ اللَّهَ
وَاحِدٌ ؟ حَسَنًا تَفْعَلُ ، وَكَذَلِكَ الشَّيَاطِينُ تَوَظَّنُ بِهِ وَتَرْتَعِدُ .
فَلْعَلْ هَذِهِ النُّصُوصُ مِنْ بَقَايَا الْوَحْيِ فِي أَسْفَارِهِمْ .

التفكر في الخلق وليس في ذات الخالق :

إن ذات الله تعالى أكبر من أن تحيط بها عقول البشر
أو تدركها أفكارهم ، لأن العقول والأفكار مهما بلغت من
الذكاء والإدراك فهي محدودة القوة محصورة القدرة ، لذا
كان على العاقل الحكيم أن يحصر همه في إدراك عظمة ربه
بالتفكر في مخلوقاته والتمسك بلوازم صفاته ، دون أن
يتفكر في كُنْهِ ذاته ، وهذا ما أرشد إليه النبي ﷺ .

عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « لَا يَزَالُ
النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ ؟
فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ » (١) .

(١) أخرجه مسلم .

وفي حديث آخر أخرجه الشيخان : « فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوماً تفكروا في الله ﷻ ، فقال النبي ﷺ : « تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله ؛ فإنكم لن تقدروا قدره » ^(١) .

وليس النهي عن التفكير في ذات الله وكنهه حجراً على حرية الفكر ، ولا جموداً في البحث ، ولا تضيقاً على العقل ، ولكنه عصمة له من التردّي في مهاوي الضلالة ، وإبعاد له عن معالجة أبحاث لا يمكن أن تتوفر له وسائل بحثها ، ولا تحمل قوته مهما عظمت علاجها ، غير أنه مضطر لأن يسلم بحقيقة وجودها استجابة لفطرته وتفكيره وإن لم يرها ، فما أكثر ما استفاد الإنسان من قوى لم يرها ولم يعرف شيئاً عن حقيقة ذاتها وكنهها ، كالذرة والمغناطيس والكهرباء ، ولا يستطيع العلماء أن يفيّدونا بشيء عن غير ظواهرها وآثارها ، وإذا كان هذا في بعض المخلوقات التي نحس بها ، فما بالك بذات الخالق ؟

إن كل محاولة للبحث في ذات الله ليست عقيمة فحسب ، بل ضارة بالإيمان وبسعادة الإنسان ، لأنها لا بد

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية . وقال العراقي : رواه أبو نعيم في الحلية بإسناد ضعيف ، ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه ، ورواه أبو الشيخ كذلك ، وهو على كل حال صحيح المعنى .

من أن تقود إلى الخطأ والضلال ، وقد استنزف البحث عن تعريف جوهر الله ومعنى الثالوث الأقدس كل تفكير قديسي النصراني فترة تناهز سبعة عشر قرناً ، فما الذي ابتكروه ، وما الذي جنوه سوى الانقسام والانشقاق ولعن بعضهم بعضاً .

أسماء الله وصفاته توقيفية :

دعت الأنبياء جميعاً إلى توحيد الله واجب الوجود خالق الأكوان والعوالم ومبدعها توحيداً مطلقاً خالصاً من أية شائبة كما سلف ، والمسلمون يؤمنون بإله واحد لا معبود بحق سواه ، فهو الرب الخالق والمالك المدبر لجميع خلقه ، ليس له شريك في ألوهيته ولا في ربوبيته ، قائم بذاته غني عن العالمين ، واحد في ذاته وواحد في صفاته . ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ قديم بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء ، هو الأول فليس قبله شيء ، وهو الآخر فليس بعده شيء ، وهو الظاهر فليس فوقه شيء ، وهو الباطن فليس دونه شيء ، متصف بكل كمال ، منزّه عن أي نقصان ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ويؤمن المسلمون أيضاً بكل ما أثبتته لنفسه في كتابه ، أو أثبتته له رسوله ﷺ فهو المبلغ عنه ، من الأسماء والصفات ، بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تكيف ولا تعطيل ، فله الأسماء

الحسنى ، وله الصفات العلى الكاملة ، لا شريك له في أسمائه ولا في صفاته ، ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاقْصِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] .

ويؤمن المسلمون أيضًا بانتفاء ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ ويسكتون عما سكت هو عنه وسكت عنه رسوله ﷺ ، فلا يطلقون عليه اسمًا أو وصفًا لم يرد الشرع به .

ولا بأس بالأمثلة الإيضاحية لتقريب الفهم ، كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾

[النور : ٣٥] .

* * *

النبوة
والعقل

ضرورة النبوة

من نظر بعين الاعتبار إلى عناية الله بخلقه وجد أن حاجة البشر إلى أنبياء لهدايتهم وإصلاحهم أشد من حاجتهم إلى أمور كثيرة لم تهملها العناية الإلهية في أجسامهم وظروفهم فقد خلقهم في أحسن تقويم ، وسخر لهم الكون بنظامه العجيب الدقيق ، ووضع لهم كافة العوامل التي تُهيئ لهم الحياة المستقرة وسبلها ، فهل يعقل أن يودعهم على ظهر الأرض من غير أن يزودهم بسبل النجاة والهداية ؟ إن من تمام الانسجام أن يضع الخالق للبشر تشريعاً ينظم علاقاتهم بربهم الذي خلقهم وبيعضهم في جميع النواحي ، وهذا لا يتم إلا عن طريق الأنبياء ، فهذه مهمتهم وتلك حقيقتهم . قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٩١] . وتوضح حاجة البشرية إلى النبوة من النواحي التالية :

١ - قصور العقل والحواس :

لاريب أن العقل وإمكاناته من أهم أسباب المعرفة ، والحواس وسائله في ذلك ، غير أنه لا يكفي وحده ليكون

فيصلاً في التفريق الكامل الصحيح بين الخير والشر والحسن والقبيح لأسباب كثيرة ، منها ما يلي :

أ - محدودية العقل : وهذا أمر مسلم به ، ألا ترى أن ثمة مسائل يصعب عليه إدراكها ، فيدخل في الظن والتخمين ، ثم يزداد معرفة يوماً بعد يوم عن طريق التجارب ؟ ولو كان كاملاً غير محدود لعرف وجه الحق فوراً في كل ما يعرض له ، ولما تغير اجتهاده مرات في المسألة الواحدة .

ب - تفاوت العقول في إدراكها وحكمها على الأشياء ومن حولها ، فقد يستحسن عقل ما يستقبحه آخر ، وربما يكون الشيء مستقبحاً لدى كثير من الناس وليس كذلك في حقيقة الأمر ، وربما يكون العكس أيضاً ، بل ربما تغير حكمه على الشيء الواحد بين مرة وأخرى .

ج - محدودية الحواس وعرضتها للخطأ ، فالعين مثلاً لا تبصر الحركات البطيئة كحركة عقربي الساعة الكبيرين ، ولا السريعة كالعجلات التي تدور بسرعة ، ولا تبصر بعض الموجودات كالمغناطيس والأشعة غير المرئية ، والأذن لا تسمع الأصوات الخفيفة كحركة النملة ، ولا البعيدة أيضاً ، ويصعق الإنسان بالأصوات الهائلة .

٢ - زيفان العقل وفساد الفطرة :

العقل السليم وحده كافٍ في الاستدلال على وجود الخالق ومعرفة بعض صفاته ، ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد . والفطرة الصافية التي فطر الله الناس عليها تميز بين الطيب فتحبه ، وبين الخبيث فتتفر منه . غير أن العقل يعتريه الزيف ، والفطرة يعتريها الانحراف ، وربما الفساد ، بتأثير عوامل متنوعة وملابسات متعددة ، منها غلبة الأهواء وتأثير المجتمعات وتقليد الأسلاف ، وربما لا يشعر الإنسان بذلك ، فإنه مركب على الغفلة والسهو ، والتأثر والسرعة في الحكم . ومن ثم يصبح الإنسان بحاجة ماسة إلى من يذكره ويعلمه ويصحح زيف عقله وفساد فطرته ، وبعثة الأنبياء إمداد له بذلك ، ولو ترك وهوى نفسه لكان ذلك إغراء له بالقبائح .

٣ - تعريف الإنسان بالأمور الغيبية :

ثمة أمور غيبية عظيمة وكثيرة نحن قادمون عليها لا محالة ، ولا يمكن للإنسان أن يصل إلى معرفة كثير منها بمجرد عقله وحواسه ، كالبعث بعد الموت والحشر والحساب والجنة أو النار ، لأن الحواس لا تدرك إلا عالم الشهادة ، أما عالم الغيب وهو أعظم وأرحب فلا سبيل لها إليه ، وهبته عرف بعض ذلك بعقله وفطرته ، فإنه لا يعرفه على حقيقته وتفصيله ، فلا سبيل له إلى معرفته بصورة

كافية إلا عن طريق النبوة . قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .

٤ - مقومات الروح ومقومات البدن :

الإنسان مركب من جسم مادي كثيف مخلوق من تراب ، ومن روح لطيفة هي سر الحياة ، ولكل منهما غذاؤه ومقوماته التي لا يستغني عنها . فمقومات الجسم هي الأطعمة والأشربة ونحوها ، وبعض الأطعمة والأشربة ضار بالإنسان من نواح كثيرة ، بل ربما يؤدي إلى إهلاكه ، ولا سيما إذا كان فيه لذة آسرة ، كالمسكرات والمخدرات ، فلو ترك الإنسان وحده ليكتشف ذلك بالتجارب لطال الأمد ، ولو اكتشف ذلك ، فرجما لا يلتزم به ، غير أن الرسل بما أنزل الله عليهم من كتب وتشريع يبينون ذلك ويلزمون الناس به ، قال تعالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام : ١١٩] وقال سبحانه في وصف رسوله محمد ﷺ : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] . أما مقومات الروح فمعنوية لا تفي العقول والأفكار بها ، وإنما تفي بها هداية الله عن طريق أنبيائه وكتبه ، فإن القلوب تقسو وتتغير ، والنفوس تضيق وتضطرب ، ولا سيما إذا تحكمت فيها الشهوات ، ولذلك اقتضت حكمة الله سبحانه أن يلزم عباده بأقوال وأفعال يؤديونها في أوقات متقاربة تكون صلة بينه وبينهم ،

وتذكرهم بتعاليم الأنبياء ، كالصلاة والصيام والحج وغير ذلك من العبادات ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه : ١٢٤] .

فبمقومات الروح والبدن يعيش الإنسان حياة متوازنة ، وبالبعد عن مقومات الروح يتخبط في أجواء الماديات ، وتطغى عليه شهواته .

٥ - إنزال الشرائع السماوية ضرورة اجتماعية :

الإنسان مدني بطبعه ، يحتاج إلى بني جنسه ، وهذا مما يفضي إلى التنازع ، فلا بد من قواعد وضوابط تنظم حياة الناس ويلتزمون بها ، والإدراك بالحواس والعقل ووضع القوانين لا يحمل الإنسان على الاتصاف بالفضائل والبعد عن الرذائل بصورة كافية ، فلا بد من شريعة سماوية تتناول شتى نواحي الحياة ، تحفظ للناس مصالحهم وتصون حقوقهم وتنظم علاقاتهم على أسس من العدل ومكارم الأخلاق ، تخاطب عقولهم وقلوبهم .

وصفوة القول : النبوة ضرورية في حياة البشر لا معدل عنها ، وقد أرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب ليقوموا انحراف العقل ، ويصححوا فساد الفطرة ، ويرشدوا الناس إلى الحق الخالص والصواب المحض ، وينظموا أوضاع الناس

وعلاقاتهم ، ويعلموهم الطريقة المثلى لعبادة الله وغير ذلك .
 قال تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ
 نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤-١٦٥] . وقال
 سبحانه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ
 الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥] .

تنبيهات مهمة :

١ - لا تعارض البتة بين العقل السليم والفطرة الصافية
 وبين ما يوحى به الله إلى الأنبياء من عبادة وتشريع إذا ثبت
 نقله ؛ فالأنبياء لا تأتي بما تُحيله العقول ، لكن من يضمن لنا
 سلامة العقل وصفاء الفطرة ولو نسبياً ؟ ومن يضمن لنا بُعد
 هذا الشخص عن العوامل والعواطف المؤثرة ؟ ومن يضمن
 لنا عدم رجوعه عن تفكيره وعدم مخالفة غيره له . فلا بد
 من أن تأتي الأنبياء بما يحسم ذلك كله .

٢ - كثيراً ما تأتي الأنبياء بأحكام مؤيدة لما رأته العقول
 السليمة ، ويكون ذلك من باب ترادف الأدلة .

٣ - كثيراً ما يأتي التشريع بكليات عامة ، ويترك إلى
 عقول المجتهدين تفصيلها .

٤ - لو فكر عاقل بحق وإنصاف بما يريده دين الإسلام
 من البشر ، لأدرك حكمة الله فيما فرضه على عباده ، وفيما

حرمه عليهم ، وفيما أباحه لهم .

وحدة الأنبياء في الدعوة والهدف :

الأنبياء جميعاً يدعون إلى أصول واحدة وقواعد مشتركة ، لا تختلف في حقيقتها وجوهرها ، وبينون أحكامهم على أسس متناسقة بوحى من الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] وقال أيضاً : ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [فصلت : ٤٣] وقال أيضاً : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] ، وقال أيضاً : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

وقد استهدفت جميع الشرائع في عبادتها وتشريع أحكامها ما يحقق مصالح الناس في الدنيا ، ويهيئهم للظفر بسعادة الآخرة ، غير أن تفاصيل الأحكام تختلف من أمة إلى أمة تبعاً لاختلاف الزمان وأحوال الناس واستعدادهم وما يحيط بهم من عوامل وملابسات . قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] ، وقال سبحانه : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ [الحج : ٦٧] ، ولذلك اقتضت حكمة الله سبحانه أن يرسل إلى كل أمة

رسولاً خاصاً بهم . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤] .

وكانت رسالة الأنبياء جميعاً بمثابة المقدمة أو التمهيد لخاتم الأنبياء محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] . فلدى اقتراب نهاية العالم النسبية لابد من دعوة جامعة لبني البشر . قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِيَّايَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] وقال جل شأنه : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] وقال أيضاً : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبا : ٢٨] .

ومن هذا المنطلق دخل في الإسلام منذ بدء الدعوة ناس من غير العرب ، فكان في أصحاب النبي ﷺ الحبشي والفرسي والرومي وغيرهم .

ومن الجدير بالذكر أن عالمية الإسلام تفرض على أتباعه أن يقدموا من سلوكهم الخاص والعام نماذج من المعاملة الجديرة بالإكبار ؛ ليظهروا حقيقة الإسلام لمن لا يعرفونها .

صفات الأنبياء

النبوة فضل إلهي ومنحة ربانية ، يهبها الله تعالى لمن اصطفاهم من عباده ، ممن فيهم خيرية وأهلية وصلاح لحمل الرسالة وفهمها وتبليغها .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

وقال سبحانه : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٥] .

وقد خصهم الله سبحانه بصفات تساعد في أداء مهمتهم ، وتعينهم على النجاح فيها ، فجمع فيهم حميد الأخلاق وكريم الصفات ما لم يجتمع في غيرهم ، فهم الصفوة المختارة من البشر ، شرفهم الله بالنبوة واختارهم ليكونوا نموذجاً للكمال الإنساني وعنواناً للفضل ، وقادة لركب الحضارة على مدى الأزمان والدهور . ومن تلك الصفات التي لا بد من تحققها مجتمعة في كل نبي ما يلي :

١ - الصدق والأمانة :

الصدق صفة ملازمة للنبوة ، بل هي من الصفات

الفطرية فيهم ، إذ من المستحيل على الرسول أن يكذب أو يغش أو يخدع .

والأمانة صفة تشمل كثيرًا من الفضائل المادية والمعنوية ، كالمحافظة على حقوق الناس وقول الحق وكتمان السرّ ونحو ذلك .

وهاتان الصفتان وإن كانتا ضروريتين في جميع البشر ، غير أنهما في الأنبياء أشد ضرورة ، إذ لو جاز أن يكون النبي كاذبًا أو خائنًا لغير الشرائع التي يتلقاها عن الله ، فيضيع الغرض المنشود من إرساله .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

٢ - الفطنة :

وهي الذكاء والنباهة مع كمال الرشد وسرعة الإدراك وقوة الحجة ، لأن الأنبياء مبعوثون إلى جماعات مختلفة ، فيهم الذكي والغبي والعالم والجاهل ، وفيهم من يحب الحق وينقاد إليه ومن يكابر ويعاند ، والرسالة تقتضي أن يكون النبي قادرًا على إقناع من يخاطبهم عارفًا بالطرق المؤثرة في الدعوة ، عالمًا بما يزيل الشكوك والشبهات من النفوس ليقيم الحجة على المعاندين ، ولذلك أعطاهم الله قوة العقل وسداد الرأي ، ومنحهم الحكمة والرشد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ

رُشِدُهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿ [الأنبياء : ٥١] وقال سبحانه :
﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

٣ - السلامة من العيوب المنفرة :

فلا يمكن أن يكون في الأنبياء عيوب جسمية تجعل
الناس ينفرون منهم ، ويأنفون من الاجتماع بهم
والاستماع إليهم واتباعهم ، كالتشوه في الحلقة والقصر
الفاحش ونقص الأطراف والحواس الهامة والأمراض السارية
كالجذام والبرص ونحو ذلك ، بخلاف الأمراض العارضة ،
فإنها تعتر بهم كما تعتري سائر البشر .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ
إِلَهٌُ وَاحِدٌ ﴾ [الكهف : ١١٠] .

٤ - التبليغ :

وهو أن يوصل ما أمره الله بتوصيله إلى الناس من العقائد
والعبادات والشرائع والأحكام دون زيادة أو نقصان أو
تحريف للكلم عن مواضعه .

والتبليغ نوع من الصدق والأمانة ، غير أنه يذكر منفردًا
في صفات الأنبياء لجليل أثره وعظيم أمره ، إذ لولا هذه
الصفة لما كان نفع من إرساله .

قال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاسُ الْمَيْثِ ﴾
[العنكبوت : ١٨] .

٥ - الذكورة :

لا ريب أن مهام النبوة شاقة تحتاج إلى صبر ومصابرة ، إذ الأنبياء مرسلون إلى جماعات مختلفة ، والإنسان في الغالب عدو لما جهل ، ولا شك أن المرأة بصورة عامة وفي الغالب أضعف جسمًا من الرجل وأقل تحملاً وأسرع عاطفة ، مما يؤثر في حكمها على الأمور ، أضف إلى ذلك ما يعتريها من الدماء الطبيعية عندها ، كالعادة الشهرية التي كثيرًا ما تؤثر في جسمها ومزاجها ، والنفاس الذي غالبًا ما يطول أمده ، وقد تجهض جنينها أو تكون مستحاضة ، فتعاني من نزف الدماء الذي يضعفها ، وربما تكون حاملًا أو مرضعًا تحتاج إلى رعاية خاصة ، وغير ذلك مما هو معروف ، والنبوة تحتاج إلى تفرغ ونشاط كاملين مع تحمل وصبر . قال تعالى : ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْرِ مِنْ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

ومن ذلك يظهر للعاقل المنصف حكمة الله في عدم تكليف النساء بأعباء الرسالة التي تنوء بها كواهل الرجال الأشداء ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ ﴾ [يوسف : ١٠٩] .

٦ - العصمة :

وهي لطف من الله تعالى يحمل النبي على حب الخير وفعله ، ويحفظه من فعل الشر والميل إليه ، مع بقاء الدافع

والاختيار تحقيقًا للابتلاء ، وتشمل ما يلي :

أ - العصمة من الفواحش والقبائح والمنكرات .

فلا يمكن أن يصدر عنهم ما يخل بالمروءة أو يخدش الكرامة ، كالغش والغدر والخداع والاحتيال وأكل أموال الناس بالباطل والاعتداء على أعراضهم وغير ذلك من الصفات الذميمة التي لا تليق بالرجل العادي وتجعل الناس يكرهونه ، فكيف بالنبي المقرب ، فيستحيل أن يصطفي الله رجلاً شريفاً ويبعثه نبياً ، إذ كيف يصدق الناس من كان بالأمس يزني ويسرق ويقتل ، ثم يأتي ويقول : إني رسول الله إليكم فاسمعوا وأطيعوا ، ثم إنه سوف يأمر بالخير وينهى عن الشر ، فكيف ينهى عما فعله بالأمس ويفعله اليوم ؟ ولا يمكن أن يصدر عنهم مخالفة لأمر الله كالكفر والشرك والفسق والضلال وغير ذلك من المعاصي ، لأننا مأمورون بالتأسي بهم في الأفعال والأقوال ، ولو جاز وقوعهم في المعاصي والفواحش ، لأصبحت المعصية مشروعة ، أو أصبحت طاعتهم غير واجبة ، وهذا غير معقول . ولذلك صان الله نفوسهم عن الانحراف ، وجعلهم القدوة الحسنة للبشر .

قال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدِ ﴾

[الأنعام : ٩٠] .

وقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ب - العصمة من الخطأ أو النسيان في تبليغ الرسالة وأدائها ، فقد سدد الله أنبياءه وصانهم فلا يقرون على شيء من ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣ - ٤] .

وقال سبحانه : ﴿ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَىٰ ﴾ [الأعلى : ٦] .
ولو جاز وقوع الخطأ أو النسيان منهم لما أصبح للناس ثقة فيما ينقلونه .

وصفوة القول : اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الأنبياء أشرف الناس نسباً وأكملهم خلقاً وأوفرهم عقلاً وأكثرهم حكمة ، وقد صان نفوسهم عن الانحراف والخطأ ، وجعلهم أسوة ، فوجود هذه الصفات مجتمعة فيهم ضرورة لا بد منها لتطمئن النفس إلى سلامة ما ينقلونه ويفعلونه ، ثم تتأسى بهم .

اسفار العهد القديم تتهم الأنبياء بامور تتنافى مع مركزهم :
ورد في العهد القديم من الكتاب المقدس حكايات عجيبة ، تتهم الأنبياء بأخس الأعمال وترميهم بأحقر الصفات وأسوأ

النيات من مكر وخداع وغش واحتيال وزنى وغير ذلك مما تأباه المروءة ويتنافى مع كمال الرجولة ، فضلاً عن مقام النبوة السامي ، ونحن المسلمين لا نقبل هذه الاتهامات ولا نصدقها ، بل نراها محض افتراء عليهم ، وضع لأهداف وأغراض متنوعة . ومن تلك الاتهامات ما يلي :

١ - جاء في سفر التكوين (٢٠/٩ - ٢٧) اتهام نوح عليه السلام بالسكر المطبق والتعري ، ثم الظلم في الدعاء على حفيده البريء والغافل كنعان بن حام ، ليس لأنه شاهده على هذه الحالة ، بل لأن أباه حام شاهده .

٢ - جاء في سفر التكوين (٣٠/١٩ - ٣٨) اتهام لوط عليه السلام بمضاجعة ابنتيه وإنجابه من الكبرى ابناً اسمه موآب ، ومن الصغرى ابناً اسمه عمون .

٣ - جاء في سفر التكوين اتهام يعقوب عليه السلام بما يلي :
أ - اتهمه باستغلال شدة جوع أخيه عيسو والامتناع عن إطعامه حتى يبيعه حق البكورية ليفوز بها ، فلما باعه ذلك وحلف له على ذلك أعطاه خبزاً وطبيخ العدس كما في (٢٧/٢٥ - ٣٤) .

ب - اتهمه بتواطئه مع أمه والكذب على أبيه الكفيف إسحاق ، وادعائه أنه عيسو ، ليسرق منه الدعاء بالبركة التي كانت لأخيه ، ثم جاء عيسو وعلم هو وأبوه بالأمر بعد أن

أُبرم الدعاء ليعقوب ، والأب يظنه عيسو ، فخرج الأمر من يده ، ولم يبق لعيسو إلا البكاء ، وكان يقول أليس لك إلا بركة واحدة يا أبي ، ثم حقد على أخيه يعقوب ، كما في (١/٢٧ - ٤٠) .

وفي هذه الحكاية من وجوه الخبث والغش ما يتنزه بيت النبوة عنه .

ج - اتهمه بالمكر والخديعة عند قسمة الأموال مع خاله لابان ، كما في (٢٣/٣٠ - ٤٣) و (١/٣١ - ٢١) .

د - اتهمه مع أولاده بالغدر بالناس وقتلهم بعد إعطاء الصلح والأمان ، كما في (١/٣٤ - ٣١) .

٤ - جاء في سفر الخروج (١/٣٢ - ٦) و (١٩ - ٢٦) اتهام هارون عليه السلام بصناعة العجل الذهبي ليعبده بنو إسرائيل ويقربوا له القرابين على أنه إلههم وإله موسى .

٥ - واتهموا موسى عليه السلام بما يلي :

أ - جاء في سفر الخروج (٣٤/١٢ - ٣٦) اتهامه بأنه أمر بني إسرائيل أن يستعبروا النفائس من جيرانهم المصريين قبل الخروج ليسرقوها ويذهبوا بها . ويالها من أمانة وحسن جوار .

ب - وجاء في سفر العدد (١٠/٢١ - ٣) و (٢١ - ٢٥) و (٣١ - ٣٥) و (٣/٢٢ - ٧) و (١٦/٢٥) و (١/٣١) و (٧ - ١٢) و (١٤ - ١٨) و (٣٣/٥٠ - ٥٥) ، وفي سفر

الثنية (٢٤/٢ - ٣٦) و (١/٣ - ١١) و (١٠/٢٠ - ١٧) اتهمه ~~الملك~~ بارتكاب مجازر وإبادات جماعية وتطهير عرقي وجرائم حرب طالت النساء والأطفال والحيوانات في مدن الكنعانيين والأموريين وباشان والمديانيين ، مذابح لا تبقي ولا تذر ، وليس هذا فحسب ، بل أوصاهم أيضاً بالإبادة والتسخير بعد العبور ، فهل كان موسى ~~الملك~~ أكبر إرهابي عرفه التاريخ حسب زعمهم ؟!

٦ - واتهموا يشوع بن نون فتى موسى وخادمه والقائم بالأمر من بعده بما يلي :

أ - مجازر متتالية لا تبقي ولا تذر بعد العبور في أريحا وعاي وغيرهما كما في السفر المنسوب إليه (١٦/٦ - ١٧) و (٢٠ - ٢١) و (١/٨ - ٢) و (٢٣ - ٢٨) و (١٠/١٠ - ٥ - ١٠) و (١٥ - ١٧) و (٢٨ - ٤١) و (١/١١ - ١٥) و (٢١ - ٢٣) ، وياله من إرهاب .

ب - واتهموه بالإفراط في العقوبة وإقامة مذبحه للأبرياء من قومه كما في (١٠/٧ - ٢٦) .

٧ - واتهموا داود ~~الملك~~ بما يلي :

أ - جاء في سفر صموئيل الثاني (١/١١ - ٢٧) و (١٥/١٢ - ٢٥) اتهام داود بالتلصص ليلاً على جارتها وهي تغتسل ، فأعجبه جمالها وزنى بها ، وكان زوجها في

جبهة القتال ، وحملت منه فأخبرته ، فما كان منه إلا أن عمل على تدبير قتل زوجها مع بعض الأبرياء ، ثم ضمها إلى نسائه .

ب - وجاء في سفر الملوك الأول (١/١ - ٤) اتهامه بمداعبة عذراء جميلة في شيخوخته . ويا لهذه الاتهامات من جرائم اجتماعية مخزية حاشاه منها .

ج - وجاء في سفر صموئيل الثاني (٢٩/١٢ - ٣١) وسفر الملوك الأول (١٥/١١ - ١٦) اتهامه بمجازر وجرائم حرب مروعة .

٨ - وجاء في سفر الملوك الأول اتهام سليمان عليه السلام بما يلي :
أ - اتهموه بالزواج من نساء كافرات لا يحل له زواجهن ، فأملن قلبه إلى آلهتهن ، فبنى لهن بيوت الأوثان وقرب القرايين ، ثم مات مرتدًا ، كما في (١/١١ - ١٠) .

ب - واتهموه بالظلم والقتل ، كما في (١٣/٢ - ٤٥) ، فزعموا أنه قتل الكاهن أبيثار وقائد الجيش يوباب متذرعًا بوصية والده ، وقتل شمعي بعد أن عفا عنه والده .

وهذا غيظ من فيض ، فهل تقدم هذه الأسفار نماذج من السلوك الفاضل للبشرية ؟

إيمان المسلمين بالمسيح بن مريم :

يعتقد المسلمون أن عيسى المسيح عليه السلام ولد بقدرة الله

من مريم العذراء الطاهرة البتول من غير أن تقترب من رجل البتة ، وإنما خلقه الله بأمره المتمثل بكلمة (كن) ، فكان الحمل ، ولما كان السبب المتعارف عليه في خلق البشر مفقوداً فيه ، كان اتصافه بكلمة (كن) أظهر من غيره ، فقليل له كلمة الله ، فالكلمة ليست المسيح ، ولكن بها خلق ، ولذلك ينسب إلى أمه ، فيقال عيسى ابن مريم عليه السلام .

ويعود نسب مريم عليها السلام إلى هارون عليه السلام فهي من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام ويدل على ذلك ما يلي :

١ - جاء في سفر العدد (١/٣٦ - ٩) أمر بأن يتزوج كل رجل بامرأة من سبطه ، وأن تتزوج كل امرأة برجل من سبطها ، لكي يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه .

٢ - جاء في إنجيل لوقا (٥/١) أنه كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن من فرقة أبايّا اسمه زكريا له امرأة من سلالة هارون ، اسمها أليصابات .

فأليصابات من نسل هارون ، وقد تزوجت زكريا عليه السلام وهو من نسل هارون أيضاً ، لأن فرقة أبايّا هي فرقة كبار الكهنة الهارونيين كما جاء في الفصل الرابع والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول ، فكلاهما من نسل هارون ثم لاوي .

٣ - جاء في إنجيل لوقا (٣٦/١) أن الملاك قال لمريم : « هانسيبتك أليصابات حبلى بابن في شيخوختها » فمريم إذاً

قرية أليصابات زوجة زكريا عليه السلام لأن النسب هو القرابة ،
وحيث إنها قريبتها ، فهي من السبط الذي هي منه ، ومن
ثم يكون المسيح عليه السلام هارونيًا لاويًا ^(١) .

فالمسلمون يعتقدون أن عيسى بن مريم عليها السلام عبد الله
ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، فحملت به ليس غير ،
وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل ، يواصل عملهم ويجري
على سننهم إلى أن اكتمل البناء بمحمد عليه السلام فكان هو
الحجر الذي أخره البناءون ، وكان رأس الزاوية ، وكان
الحلقة الأخيرة في سلسلة الأنبياء .

وقد مكث المسيح عليه السلام يشر قومه بدعوته فترة
محدودة ، لم يجتز خلالها الأقاليم اليهودية وما كان الناس
يعرفونه إلا نبيًا من أنبياء بني إسرائيل ، جاءهم بتعاليم سامية
بعد أن غرقوا في الماديات ، ولم يأت بشريعة جديدة ، بل
كان يصرح بأنه إنما جاء ليخفف عن بني إسرائيل ويحل
لهم بإذن الله بعض الذي حرم عليهم ، عقوبة لهم .

قال تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ
خَلَقْنَا مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلَ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ
الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ

(١) إذا لاحظنا هذا كله يتبين لنا أنه إن كان لمريم خطيب اسمه يوسف
النجار ، فهو هاروني لاوي أيضًا ، وليس من نسل داود .

أَنْتَ يُؤَفِّكُونَ ﴿ [المائدة : ٧٥] (١) .

ويعتقد المسلمون أن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ، بل رفعه الله إليه ، وإنما صلب من ألقى الله عليه شبهه .

قال تعالى في معرض الرد على اليهود الذين قذفوا مريم عليها السلام بالزنى ، وادعوا أنهم صلبوا المسيح عليه السلام وقتلوه : ﴿ وَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ

(١) من يراجع ثلاثة الأناجيل الأولى بوضعها الحالي رغم ما اعترافا ورغم افتقارها للتوثيق بالسند الصحيح المتصل لن يجد فيها ما يصرح بأن المسيح عليه السلام إله أو ابن إله ، بل إنها تحتوي على نصوص كثيرة تدل بصراحة على أنه بشر ، وقد وُصف بالإنسان أو ابن الإنسان أكثر من سبعين مرة ، كما في متى (٢٠/٨) ، (١٩/١١) ، (٣٩/١٢) ، وفي مرقس (٢٢/٦) ، (١٢/٩) ، (٦٢/١٤) ، وفي لوقا (٥٦/٩) ، (٤٧/٢٣) ، وفي يوحنا (٥١/١) . وجاء أيضًا ما يشعر أنه مجرد نبي مرسل ، كما في متى (٥٦/١٣ - ٥٧) ، (١١ - ١٠/٢١) وفي لوقا (٤٣/٤ - ٤٤) ، (٣٣/١٣) ، (١٩/٣٤) ، وفي يوحنا (١٩/٤ و ٢٨ - ٢٩) ، (٤٠/٧ - ٤١) ، (١٧/٩) . وجاء ما يدل على أنه عبد ، كما في متى (٤٥/٢٧ - ٤٦) ، ومارقس (٣٢/١٣) . وجاء ما يدل على أنه إنما أرسل إلى بني إسرائيل ، كما في متى (٦٥/١٠) ، (٢٨ - ٢٢/١٥) ، (٦/٢) ، وفي يوحنا (١٣/١) .

اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ [النساء: ١٥٦ - ١٥٨] (١) .

(١) جاء في إنجيل برنابا (١٢/١١ - ١٧) : بل أقول لك : لأنني لو لم أَدع إِلَهًا لَكنْتُ مُحمِلَت إلى الجنة عندما أنصرف من العالم ، أما الآن فلا أذهب إلى هناك حتى الدينونة ، وعليه فإنني على يقين من أن من يبيعيني يقتل باسمي ، لأن الله سيصعدني من الأرض ، وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي ، ومع ذلك فإنه لما يموت شر ميتة ، أمكث في ذلك العار زمنا طويلا في العالم ، ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة .

وقد أنكر كثير من المسيحيين بعد حادثة الصلب أن يكون المسيح نفسه هو الذي حوكم ورفع على الصليب ، وأصرروا على أن الذي أُلقي عليه القبض وصلب هو أحد أتباعه ، سواء كان يهوذا الإسخريوطي أو آخر يشبه المسيح ، فصلب بدلاً منه ، ومن اعتقد بهذا الرأي الكورنيثون والبازيليون والقرايون وغيرهم . انظر كتاب محمد في الكتاب المقدس لعبد الأحد داود (ص ٢٧٧) .

ومن يمعن النظر في حادثة الصلب التي وردت في أربعة الأناجيل يجد الاضطراب والتضارب في الرواية ، ومن يقابل أقوال المسيح ﷺ في أثناء دعوته وتنديده بالفرنسيين بإجابات المقبوض عليه أمام الحاكم الروماني يستبعد أن تكون تلك الإجابات أقوال المسيح ﷺ .

الإسلام والبشرية أحاطة

الفصل الثاني

دلائل نبوة محمد

- ويحتوي على الفرعين التاليين :
- الدلائل التي في ذاته وصفاته .
 - الدلائل الخارجة عن ذاته وصفاته ،
وفيه مبحثان :
 - أ - معجزاته المادية وإخباره بالغيب .
 - ب - المعجزة الكبرى (القرآن الكريم) .

الدلائل التي في ذاته وصفاته

توطئة :

الانطباع السائد في نفوس أكثر الغربيين أن محمدًا ﷺ أتبع له الاتصال ببعض النصارى في زمنه ، فقبس عنهم بعض المبادئ ، ثم لم يلبث أن أقام عليها بناء دين جديد ، فكتب فيه أو استكتب القرآن محاكاة للتوراة والإنجيل ، محتجين بأن ثمة أقوالاً قرآنية في التاريخ الديني وغيره تعيد أقوال كتابهم المقدس ، ومحمد ﷺ لم يفعل أكثر من النقل عنه ، وزعموا أنه وقع في مخالفات لدى النقل والعرض ، كل ذلك بقصد استبعاد الوحي والنبوة عنه ، مع أنه ﷺ قد اجتمع له من دلائل النبوة ما لا يجتمع مثلها إلا لنبي ، وهي نوعان : دلائل في ذاته وصفاته ، ودلائل خارجة عن ذاته وصفاته ، بالإضافة إلى حتمية بشارات الأنبياء به في أسفارهم .

شرف نسبه :

جعل الله سبحانه إبراهيم ﷺ إمامًا للناس ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب ، ومحمد ﷺ من هذه الدوحة ، إذ ينتهي نسبه

من جهة والديه إلى إسماعيل بكر إبراهيم عليه السلام ^(١) .
 عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ^(٢) .
 فهو من قبيلة قريش صفوة بني إسماعيل - عليه السلام -
 - ومن بني هاشم صفوة قريش ، وهو صفوة بني هاشم ،
 فهو خيار من خيار من خيار .

خلقته وصورته التي توحى بالثقة :

يظهر على وجه الرجل الصادق البار من صفاء نفسه وبهجة وجهه ما يعرف به حاله ، فيوحى للمتوسمين بالثقة والطمأنينة ، ثم يتضح ذلك ويتأكد بعد المخالطة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفةً أحبه .

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه - وكان من علماء اليهود - قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وانجفل الناس قبله ، فقالوا : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فجئت في الناس لأنظر وجهه ، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ^(٣) .

(١) يلتقي نسب أبيه وأمه في كلاب بن مرة .

(٢) أخرجه مسلم والترمذي .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده .

صفاته العظيمة :

الناس معادن ، فيهم صفات وخصائص متنوعة ،
ومحمد ﷺ كما كان من أشرف الناس نسبًا ، هو أيضًا
من أكمل الناس في الصفات الحميدة والخصائص العظيمة
السامية ويشمل ذلك ما يلي :

أ - أخلاقه الكريمة : فقد جبله الله على خلق يحبه ، وأدبه
فأحسن تأديبه ، نشأ بين قومه ولم يزل معروفًا بينهم بالصدق
والأمانة والبر وغير ذلك من مكارم الأخلاق ومحاسن
العادات وبالنفور من كل وصف مذموم وعادة قبيحة ، يسبق
حلمه جهله ، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا ، وما
جُربت عليه كذبة قط ، شهد له بذلك جميع من يعرفه قبل
النبوة وبعدها ، من آمن به ومن كفر ، وقومه المعادون له مازالوا
معترفين بصدقه مقرين بأمانته ، بل كانوا يلقبونه قبل البعثة
بالصادق الأمين ، وهذا مستفيض بينهم فقد كانوا يحبونه
جميعًا ، ولذلك مدحه الله ﷻ في القرآن الكريم فقال :
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] فلولوا أنه ﷺ كان
كذلك لكذبه قومه ، واحتج به من كفر على من آمن ، لأنه
يفتح عليه بابًا كبيرًا للخصومة وإبطال ما ادعاه .

ب - شففته وتواضعه : فقد كان عظيم الرحمة شديد
الحنان حتى على أعدائه ، وكان في غاية التواضع وطيب

النفس ، ولاسيما مع الفقراء والضعفاء ، يتودد إلى أهل الصدق والخلق الكريم من المساكين ، ويفضل مجالستهم على الأثرياء والوجهاء .

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : رأى سعد أن له فضلاً على من دونه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » ^(١) .

وعند النسائي : إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها ، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم .

ومن الجدير بالذكر والانتباه أنه صلى الله عليه وسلم بقي على هذه الصفات والخصائص إلى آخر عمره ، ويتجلى ذلك بعد فتح مكة ، فقد أعطى الأمان لأهلها ، ثم دخلها راكباً الناقة مطأطئاً رأسه تواضعاً لله ، ولما وقفوا أمامه ، وهم الذين أرادوا قتله وطارده وحاربوه وألبوا عليه ، قال : « ما تظنون أنني فاعل بكم ؟ » قالوا : خيرًا ، أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : « لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء » . فلم يعف عنهم فحسب ، بل نفى اللوم عنهم .

(١) أخرجه البخاري وأحمد .

الدلائل الخارجة عن ذاته وصفاته

وهي كثيرة متنوعة ، وأهمها معجزاته المادية التي أجراها الله على يديه تصديقاً له مع إخباره بالغيب ، والقرآن الكريم المعجزة الخالدة .

أ - معجزاته المادية وإخباره بالغيب

معجزاته المادية :

وهي أمور خارقة لقوانين الطبيعة - وليست استغلالاً لها مما يكتشفه الإنسان قبل غيره - أجراها الله تعالى على يديه تأييداً لنبوته ، رآها من رآها من أصحابه وأعدائه ، وكانت مدعاة لإيمان الكثيرين منهم بعد بحث وتمحيص ، مثل تكليم الجمادات وانقيادها له ، وتكثير الطعام والشراب ليكفي العدد الكثير ورد بصر الأعمى وغير ذلك .

وقد مضت وانقضت ، ولم يبق منها سوى النقل الثابت بالتواتر ، أو بالخبر المشهور المستفيض ، أو بالسند العزيز ، أو على الأقل بالسند الصحيح المتصل حسب علم أصول الحديث في نقل الأخبار وروايتها ، فمعجزة تكثير الطعام

أو الشراب القليل ، قد تظاهرت الأحاديث بأسانيدها الصحيحة المتصلة في نقلها ، ورواها الجم الغفير واستفاضت حتى تواترت تواتراً معنوياً وصل إلى درجة القطع .

إخباره بالغيب :

أخبر النبي ﷺ عن مغيبات كثيرة ومتنوعة ، لا يمكن لأحد أن يعلمها إلا بتعليم الله له ، وهذا إعجاز دال على صدقه ، بل هو أحد أدلة نبوته عند أهل الكتاب ، ففي توراة اليهود أن موسى عليه السلام بشر بنبي يأتي من بعده يماثله ، ويرين لهم أوصافه ، وكان منها أنه يخبر بغيب ويتحقق ما أخبر به ، ففي سفر التثنية (٢١/١٨ - ٢٢) : « وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبي ، فلا تخف منه » .

والغيوب ثلاثة أنواع : غيوب سابقة متقدمة على زمانه ، وهذا إخبار بالغيب الماضي ، وغيوب غابت عنه وعن أصحابه حال حياتهم في زمانه . وغيوب آتية في المستقبل بعد زمانه . والإخبار بهذه الغيوب منه ما ورد في القرآن الكريم ، ومنه ما ورد في السنة المشرفة بروايات صحيحة صريحة واضحة .

١ - الإخبار بالغيب الماضي :

أخبر النبي ﷺ عن بعض وقائع الأمم المتقدمة خبرًا مفصلاً بالمقدار الذي يفي بالغرض ، وهو على ضربين :

١ - ضرب لا يعرفه أهل الكتاب ، ولم يذكر في كتبهم البتة ، كقصة هود وما جرى له مع قومه عاد ، وقصة صالح وما جرى له مع قومه ثمود ، وقصة شعيب وما جرى له مع قومه في مدين .

وقد أنكر بعض المستشرقين وجود هذه الأقوام ، ثم لم يلبثوا أن رجعوا عن إنكارهم عندما فجأهم الحق عن طريق الأحافير والتنقيب الأثري وغير ذلك مما لا يمكن رده لاشتهاره .

٢ - ضرب مذكور في أسفارهم ، كقصة آدم وحواء ونوح وإبراهيم ولوط ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليه السلام غير أن القرآن الكريم لا يسرد القصة سردًا كما جاءت في أسفار أهل الكتاب ، بل يزيد عليها أمورًا يجهلونها ويصحح لهم كثيرًا من الأخطاء التي وقعت فيها .

● فمما كانوا يجهلونه ولم يذكر في كتبهم قصة ابن نوح عليه السلام وكفره بنبوة أبيه وغرقه بالطوفان بعد أن نصحه أبوه ولم يقبل ، وقصة إقامة إبراهيم عليه السلام الحجة على قومه ، ثم إضرامهم النار لإحراقه وإنجاء الله له ، وقصة إيمان امرأة

فرعون ، وإنجاء الله جسد فرعون بعد غرقه ليكون لمن خلفه آية ، وقد أثبت الكشف الأثري والتحليلي عن وجود جثة لأحد الفراعنة مات صاحبها غرقاً ، وقصة تكليم المسيح عليه السلام الناس وهو في المهد وغير ذلك .

● وما صححه لهم من أغلاط أن الذي صنع لبني إسرائيل العجل الذهبي في غياب موسى عليه السلام هو السامري ، وليس نبي الله هارون عليه السلام وقد نصحهم لكنهم أصروا ، وأن مريم أجاها المخاض إلى جذع النخلة ، فولدت المسيح عليه السلام هناك . ونزول المائدة على الحواريين بطلب منهم ثم بدعاء المسيح عليه السلام وأنه لم يقتل ولم يصلب ، بل رفعه الله إليه ، وشبه المصلوب لهم ، وغير ذلك .

الدليل على أن هذه القصص وحي :

من المعروف أن الذي ينتحل علمًا ويتقول به أمام الناس ، إما أن يكون قرأه في كتاب ثم نسخه ونسبه إليه ، وإما أن يكون استفاده من إنسان مدارس أو تلقينًا وحفظًا ، ومحمد عليه السلام لا يمكن أن يحدث معه شيء من هذا أو ذاك البتة ، وإليك الأدلة .

● فمما يدل على أنه لم يأخذه من كتاب ما يلي :

١ - من الثابت المنقول بالتواتر أن محمدًا عليه السلام كان أميًا لا يعرف الكتابة ولا القراءة باللغة العربية ، فضلًا عن أن

يحسن غيرها ، وقد أنزل عليه الله في القرآن الكريم : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّوْ بِمِثْلِكَ إِذَا لَا تَرْتَابَ الْمُبْتَطِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] ، وقومه يعلمون علم اليقين أنه أمي لم يقرأ ولم يكتب منذ ولد إلى أن توفاه الله ، ولو كان ثمة شيء من ذلك لقالوا : لعله أخذه عن كتاب ما ، ولارتاب أصحابه الذين آمنوا به بعد نزول هذه الآية ، وقالوا له : كيف تدعي أنك أمي وأنت تحسن القراءة والكتابة ؟ ولارتاب أيضًا أهل الكتاب وقالوا : إن النبي المبشر به في كتبنا أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وهذا يقرأ ويكتب ، فلعله أخذه عن كتبنا .

جاء في سفر التثنية (١٨/١٨) أن الرب قال لموسى عليه السلام : « أقيم لهم نبيًا من بين إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل شيء وأمره به » . فهذا يدل على أن النبي المبشر به يشبه موسى عليه السلام في أفعاله وأقواله وأحواله ، ويشير أيضًا إلى أنه أمي ، وسوف ينزل الله على قلبه كتابًا يحفظه ، ويظهر للناس من فمه . ولم يقم في الدنيا نبي أمي سوى محمد عليه السلام وقد ظهر القرآن الكريم كتاب الله للناس من فمه .

٢ - من المعلوم أن العهد القديم لم يترجم إلى اللغة العربية في ذلك الوقت ، وأول ترجمة له إلى اللغة العربية كانت عند منصرم العهد الأموي أو في أوائل

العصر العباسي (١) .

● ومما يدل على أنه لم يتعلم من إنسان ما يلي :

١ - قد علم بالتواتر أن قومه لم يكونوا يعرفون هذه القصص ولا أمثالها ، بل كانوا أميين عارين عن العلوم العقلية ، قلّ فيهم من يحسن القراءة والكتابة . قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] ، أي بعث في الأميين رسولا أميًا مثلهم . وقال سبحانه : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود : ٤٩] .

٢ - إن قومه الذين وُلد ونشأ بينهم وأحبوه قبل البعثة كانوا أشد الناس عداوة له وأحرصهم على إبطال أمره بعدها ، ولو أنه تعلم من بشر لعلموا بذلك وأظهروه للناس ، ولا سيما أصحابه الذين تحملوا الأذى بعد الإيمان به ، فقد كانت مكة من الصغر بحيث يعرف أهلها أخبار بعضهم معرفة تامة ، وهم يعلمون أنه لم يغادر مكة قبل البعثة

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال النبي ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقلوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا » [أخرجه البخاري] .

إلا مرتين تحت سمعهم وبصرهم في أثناء ذهابه وعودته ، ولم يفارقوه لحظة من حياته ، ومن حكمة الله أنه لم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَسَكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ١٦] .

٣ - لو أنه تعلمه من علماء أهل الكتاب مع عداوتهم وحر بهم له لأخبروا بذلك وأظهروا الأسماء والأوقات والجلسات ، وأشهدوا الشهود وذكروا الأدلة لقومه فأبطلوا أمره بدلاً من أن يتحالفوا معهم على حربه ، ولو فعله بعضهم لنقل إلينا ، فإن الدواعي تتوافر على نقل أقل من هذا .

٤ - لو أنه تعلم من أهل الكتاب لما زاد تلك الزيادات ، ولما خطأهم في كثير مما ذكروه ، بل لو افقهم فيما تعلمه منهم ، وسرد القصص مجملة ، حتى لا يفتح على نفسه باب معارضتهم ، إذ لا يليق بالعاقل أن يقدم باختياره على فعل ييطل مقصوده .

قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِّنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [يوسف : ١٠٢] .

ب - الإخبار بما غاب عنه في زمانه :

أطلع الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ على أمور حدثت في

زمانه غاب عنه وعن أصحابه ﷺ وقوعها وخبرها ، فذكرها لهم على سبيل التفصيل رغم بعد المكان ، فما كانوا يجدون في ذلك كله إلا الصدق والدقة والحق . ومن ذلك ما يلي :

١ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أمر النبي ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال : إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ^(١) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، وإن عيني رسول الله ﷺ لتذران ، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ، ففتح له ^(٢) .

أرسل النبي ﷺ جيشاً لتأديب الروم وأتباعهم من العرب الذين قتلوا حامل رسالته ، فأمر ثلاثة فقط ، وفوجئ المسلمون بكثافة جند الروم ، فقاتلوا وقتل أمراؤهم الثلاثة ، ثم أنقذ خالد بن الوليد رضي الله عنه الجيش بخطة محكمة ، وأخبر النبي ﷺ أصحابه بما جرى وهم بالمدينة ، مع أن مؤتة قرية ببلاد الشام في منطقة الكرك ، فهي بعيدة جدًا .

٢ - كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بعزم النبي ﷺ على الخروج إليهم ، وأرسل الكتاب مع امرأة خبأته في ضفائر شعرها وانطلقت ، فأطلع الله نبيه ﷺ

(١) أخرجه البخاري . (٢) أخرجه البخاري والنسائي .

على ذلك ، فبعث عليًا والزبير عليهما السلام فأدركا المرأة على بعير ، فقالا : أخرجني الكتاب . قالت : ما معي من كتاب . فابتغيا في متاعها فلم يجدا شيئًا ، فقالا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . فأخرجته من عقاصها ، فأتيا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا يا حاطب ^(١) ؟

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان حريصًا على كتمان الأمر لمفاجأة أهل مكة ومصالحتهم بدلًا من الحرب وإراقة الدماء ، لكن حاطبًا رضي الله عنه أخطأ في فعلته ، فأطلع الله نبيه على ذلك فعاتب حاطبًا وعفا عنه ، ولما سار الجيش قال : اللهم خذ العيون عن قريش .

٣ - أطلع الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم على أسرار المنافقين واليهود وسائر المشركين الذين كانوا يتواطؤون ويتآمرون في السر على أنواع كثيرة من المكر والكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ، حتى إن بعض الأفراد عزموا في أنفسهم على السفر إلى المدينة والمراوغة في الكلام للتمكن من قتله ، وقد تكرر هذا منهم ، فكان الله سبحانه يطلعه على تلك الأحوال حالًا بعد حال ، فما يجدون إلا الإقرار ، وكان ذلك سببًا في دخول كثير منهم في الإسلام .

ج - الإخبار بالغيب المستقبل :

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور وحوادث كثيرة تقع في

(١) أخرج الخبر الشيخان .

المستقبل اللاحق ، فمنها ما وقع في زمانه ورآه أصحابه ﷺ على الوجه الذي أخبر ، ومنها ما وقع بعد زمانه فأتت كما قال ، ورآها من بقي من أصحابه مع التابعين ، ومنها ما وقع بعد ذلك ونقل إلينا ، ومنها ما لم يقع حتى الآن والمسلمون ينتظرون وقوعه .

عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره ، علمه من علمه ، وجهله من جهله ، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت ، فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه ^(١) .
وعند أبي داود قال : والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا ، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى انقضاء الدنيا يبلغ معه ثلاثمائة فصاعداً إلا سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته .

وعن عمرو بن أخطب الأنصاري ﷺ قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل ثم صلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا ^(٢) .

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما . (٢) أخرجه مسلم وأحمد .

● فمما أخبر عنه ووقع لاحقاً ورآه أصحابه ما يلي :

١ - عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل . فقال : يا عدي ، هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد أنبت عنها . قال : إن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله تعالى .. ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة ، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه .. قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، ولا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ^(١) .

فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك والمسلمون مستضعفون في الأرض ، فتم ما أخبر به ، فتحت بلاد الفرس وغنم المسلمون كنوز ملكها كسرى بن هرمز ووزعت عليهم ، واغتنى الناس حتى لم يعد ثمة فقير يقبل الزكاة ، ولا سيما في زمن الخليفة الراشد عثمان ابن عفان رضي الله عنه والخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، فكان الغني يخرج زكاة ماله فلا يجد

(١) أخرجه البخاري .

من يقبلها منه لاستغناء الناس وورعهم الذي يمنع الطمع .
 ٢ - عن خُباب بن الأَرْتِّ رضي الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة - زاد في رواية : وقد لقينا من المشركين شِدة - ، فقلنا : ألا تدعو لنا ؟ فقال : « قد كان مَنْ قبلكم ، يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يُؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » ^(١) .

● ومما أخبر ووقع بعد زمانه وراه الناس ما يلي :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضيء لها أعناق الإبل ببصرى » ^(٢) .

وقد خرجت هذه النار عام ٦٥٤ هـ في الحجاز من جانب المدينة الشرقي على بعد مرحلة منها ، وكان إقبالها من المشرق ، سال بها الوادي بعد أن تقدمها زلزال ، ولازالت آثارها البركانية باقية ، يعرفها أهل المدينة ، ونقل المؤرخون عن بعض الأعراب في بصرى أنهم رأوا صفحات

(١) أخرجه البخاري . (٢) أخرجه الشيخان وغيرهما .

أعناق إبّلهم في ضوء تلك النار (١) .

٢ - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا نرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » . قال : فأخبرني عن أماراتها ؟ قال : « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » .. الحديث (٢) .

فالحفاة العراة رعاء الغنم وهم أشد الناس فقرًا تبسط لهم الدنيا ، فيتنافسون ويتفاخرون بالعمارات الشاهقة ، وقد رأينا هذا ، حيث أضحي الأعراب يبنون أبراجًا ناطحة للسحاب . أما قوله « أن تلد الأمة ربتها » ، فهو كناية عن كثرة التسري بالإماء وما يصاحبه من فساد ، وقد حدث هذا ، ولا سيما في عصر المماليك .

٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ،

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٩١/١٣) ووفاء الوفا للمسمودي

(٢) أخرجه مسلم .

(١٤١/١ - ١٥١) .

رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » (١) .

فالصنف الأول أعوان الظلمة الذين يلزمون أدوات التعذيب ، وقد نزعت الرحمة من قلوبهم ، والصنف الثاني النسوة اللاتي يسترن بعض أبدانهن ويكشفن بعضاً آخر ، ويتكلفن في المشية فيملن أكتافهن وأكفالهن ، وقد صففن شعر رؤوسهن بأنواع من الترجيلات ، بحيث تغدو رؤوسهن كأسنمة الأبرة البخية ، وقد حدث هذا كله في زمننا ، فكأن النبي ﷺ رآهن .

● ومما أخبر به ولما يقع والمسلمون ينتظرون وقوعه ما يلي :

١ - عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة آدم ، فقال : « اعدد ستاً بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كقصاص الغنم ، ثم استفاضة المال ، حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ، ثم فتنة لا يبقَى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً » (٢) .

وكان موته ﷺ من أعظم المصائب التي حلت

(١) أخرجه مسلم وأحمد .

(٢) أخرجه البخاري وأحمد والبغوي .

بالمسلمين ، حيث انقطع الرحي ، وزلزل المسلمون بالفتن ، ثم تم فتح بيت المقدس سنة (١٦هـ - ٦٣٦م) في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ؓ وبعد فتح بيت المقدس انتشر مرض الطاعون في بلاد الشام عام ١٨هـ على المشهور وهو المعروف بطاعون عَمَواس ، مات فيه من المسلمين قرابة خمسة وعشرين ألفًا ، فأخذهم كقعاص الغنم ^(١) ، ثم فاض المال في خلافة عثمان ؓ ثم في خلافة عمر بن العزيز ؓ وكان أول فتنة ظهرت قتل الخليفة الراشد عثمان ؓ وبقتله فتح باب الفتنة على مصراعيه ، فانتشرت الأهواء ، وكثر الاختلاف وتشعبت الآراء وماج الناس واقتتلوا . أما غدر الروم فلم يقع إلى الآن ، وسيحدث بإذن الله ، وقد وضع النبي ﷺ ملابساته في الحديث التالي :

عن ذي مِخْمَرٍ ؓ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستصالحون الروم صلحًا آمنًا ، فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم ، فتتصرون وتغنمون وتسلمون ، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي ثُلُول ، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول : غلب الصليب . فيغضب رجل من المسلمين فيدقه ، فعند ذلك تغدر الروم وتجتمع للملحمة » ^(٢) .

(١) القُعاص : بضم القاف وتخفيف العين - داء يأخذ الغنم ، لا يُلْبِثُهَا أَنْ تموت فجأة .

(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان وأحمد وغيرهم .

٢ - عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا
 شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً ، فيكون ما شاء الله أن
 يكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً ،
 فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ،
 ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت » ^(١) .

ونحن الآن في زمن الملك الجبري ، وقد ورد في حديث
 ابن عباس رضي الله عنهما في وصف الملك الجبري « ثم يتكادمون
 عليه تكادم الحمير » ^(٢) ، وننتظر الخلافة الراشدة الأخيرة .

٣ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : بينما
 نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل أي المدينتين تفتح
 أولاً ، أقسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : « مدينة
 هرقل تفتح أولاً » يعني قسطنطينية ^(٣) .

وقد تحقق فتح القسطنطينية على يد السلطان العثماني
 محمد الفاتح رحمته الله وسماها إسلام بول ، وكان فتحاً
 رحيمًا ، والمسلمون ينتظرون الفتح الرحيم الآخر لروما .

(١) أخرجه أحمد والبخاري والطبراني . وصححه العراقي من طريق أحمد ،
 وأخرجه البخاري والطبراني بأتم منه ، وروى الطبراني في الأوسط بعضه .
 وقال الهيثمي : رجاله ثقات .

(٢) الكذب : العض بأدنى الفم ، وهو فعل الحمير ، فشبههم ﷺ بها .

(٣) أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي وغيرهم .

ب - المعجزة الكبرى (القرآن الكريم)

تعريفه :

القرآن الكريم كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين ، ليكون بشيراً ونذيراً للعالمين ، جعله الله هدى ومنهاجاً للمؤمنين ، ودستوراً شاملاً كاملاً إلى يوم الدين .

ظهر للناس من فم النبي صلى الله عليه وسلم فحفظه من حفظه ، وكتبه من كتبه ، ثم نقل بلغته ولهجته . وطريقة قراءته حفظاً وكتابة بالتواتر من جيل إلى جيل ، حتى وصل إلينا سالماً من التحريف والتغيير ، لم يوثق في الدنيا على مر الزمان كتاب كما وثق القرآن الكريم .

وهو المعجزة المعنوية الكبرى الخالدة على وجه الدهر ، والآية الباقية على تمادي الزمن ، تتحطم الدهور ولا تفنى عجائبه ، وتنقضي السنون ولا تبلى بدائعه .

وجوه إعجازه :

وهي كثيرة متنوعة ، يراها من حقق ودقق بتجرد وموضوعية ، منها ما يلي :

١ - الإعجاز اللغوي :

كان العرب قبل البعثة وبعدها في غاية الفصاحة والبيان ،

وكانت المنافرات الأدبية بينهم شعراً ونثراً قائمة على قدم وساق ، ولاسيما في المناسبات المعروفة ، ولهم خبراء يحكمونهم فيما بينهم ، فكم من قبيلة علا شأنها بشاعرها أو خطيبها ، وكم من حرب نشبت بسبب ذلك ، فأنزل الله سبحانه القرآن الكريم على محمد ﷺ بأسلوب جديد ، ليس شعراً ، ولا نثراً كنثر العرب ، وفي الدرجة العالية من الفصاحة التي لم يعهد مثلها في تراكيب العرب ، عرف ذلك فصحاؤهم فتقاصرت عنها درجة بلاغتهم ، ويعرفها علماء النقد بمقدار مهارتهم في فن البيان .

تحداهم أن يأتوا بمثله في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

وتحداهم أيضاً أن يأتوا بسورة من مثله في المبنى والمعنى مرة بعد مرة ، وأخبرهم أنهم لن يستطيعوا ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣ ، ٢٤] .

فخضعت أعناقهم لبلاغته ، وذلت كبرياؤهم لفصاحته ، وعجزوا عن معارضته ، فلولا تيقن ذلك لما أقدم على التحدي . ولو أنهم أتوا بالمعارضة لكان اشتهارها أولى من اشتهار

القرآن الكريم نفسه ، ولو أنهم كانوا قادرين عليها لم عَدُوا عنها إلى الاضطهاد والتنكيل بمحمد ﷺ وبمن آمن به قبل الهجرة ، وإلى حربه وتجميع الأحزاب ضده بعدها ، مع أن المعارضة لو قدروا عليها أسهل في إبطال أمره من تلك الحروب الطاحنة .

وقد تحمل من آمن به العذاب ونقص المال ومعاناة الأهل والأقارب في سبيل ذلك ، ولو كان من سبيل للمعارضة - والفصاحة مبثوثة بين الرجال والنساء - لما تحملوا هذه المشقة . أضف إلى ذلك أن للقرآن حلاوة عند القارئ والسماع ، فهو متجدد عند قارئه يقرؤه فلا يسأمه ، وعند سامعه يسمعه فلا يملّه ، بل إن تكراره يوجب زيادة التعلق به ، بخلاف غيره ، وقد انجذب إلى الاستماع إليه أهل الجاهلية في زمن النبي ﷺ فكان كثير منهم يأتي سراً لاستماع قراءة النبي ﷺ وهو يقرأ في الليل ، ثم يخفون ذلك عن كبارهم ، وقد رأينا بعض الناس من غير المسلمين في زمننا يأنس لسماع تلاوته .

٢ - الإعجاز المعنوي :

وهو أعظم من الإعجاز اللغوي ، وعجز عقلاء البشر ومفكرهم عن الإتيان بمثل ما فيه من معان وتشريع أعظم من عجز فصحاء العرب عن الإتيان بمثل لفظه ، ويظهر ذلك فيما يلي :

أ - الإعجاز التشريعي :

حوى القرآن الكريم من العلوم في العقائد والعبادات والأخلاق والشرائع وغير ذلك مما يحتاجه الناس في دنياهم وأخراهم .

فقد أخبر القرآن الكريم عن الله وأسمائه وصفاته وكتبه ورسله وملائكته ، وعن الموت والمعاد والحساب والجنة والنار ، وعن العبادة والأخلاق وأثرهما في إصلاح النفوس والسعي إلى نجاتها وكمالها وسعادتها ، مما ليس في غيره من الكتب .

وجاء أيضًا بتشريع عادل كامل شامل متكامل صالح ومصلح لكل زمان ومكان ، جمع بين المثالية والواقعية من غير أن تطفئ إحداهما على الأخرى فيحصل الخلل في حياة الناس . واشتمل أيضًا على كثير من المبادئ السامية في أحوال الناس وسياسة الدنيا بما فيه من أمثلة ودلائل يقينية تشهد بعظمته وأصالته .

ب - الإعجاز العلمي :

لا يهدف القرآن الكريم إلى عرض القوانين التي تسود نظام الكون في ميادين الطبيعة أو الفلك أو فيما يخص جسم الإنسان من العلوم الطبية أو نحو ذلك ، بل إن له هدفًا دينيًا جوهريًا معروفًا في إسعاد الإنسان في حياته وبعد

مئاته ، ومع ذلك فقد احتوى على معارف لم تكن تعرف في ذلك الزمن ، وفيه من الحقائق العلمية والظواهرات الطبيعية ما لم يكتشفه الناس إلا في العصر الحاضر ، وما يهل عصر حتى تتكشف معاني القرآن للناس في بعض النواحي أكثر مما تكشفت لأسلافهم ، والقرآن الكريم إذ يشير هذه الوقائع ذات الصفة العلمية ، فإنما يرمي منها أن تكون إشارات ودعوات للملاحظة الإنسانية كي تدرك من ورائها عظمة الخالق العليم . قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] ^(١) .

التوافق التام بين الحقيقة القرآنية والحقيقة العلمية :

لا ريب أن الأكوان تسير وفق نظام دقيق عجيب ، فيه حقائق علمية ثابتة قدرها الله ، والعلماء إنما يحاولون اكتشافها واستغلالها ، ولا ريب أن القرآن الكريم كلام الله خالق الأكوان والعوالم ، لذا كان من أمحل المحال أن تتعارض حقيقة علمية مع حقيقة قرآنية ، وإذا ظهر لأحد

(١) شهادات الباحثين الغربيين في ذلك كثيرة جدًا ، ومنهم المفكر الفرنسي الدكتور موريس بوكاي الذي اعتنق الإسلام ، فقد ألف كتابًا بعنوان (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث) خَرَجَ فيه بنتيجة هي أن القرآن وحده هو الذي يقف صامدًا أمام العلم الحديث الذي ثبتت قطعيته ، كما ذكر في مقدمة الكتاب .

تعارض بينهما ، فإن هذا ناتج عن خطأ في فهم إحدى الحقيقتين قطعاً ، ولابد من إعادة النظر فيهما من جديد ، فكثيراً ما يكون الأمر المكتشف مجرد فرض أو احتمال أو ظن ، فيسارع بعض الناس ويقولون هو حقيقة علمية ، مع أن الفرضيات والاحتمالات إنما هي آراء لم تكتمل دراستها ، فضلاً عن أن تصل إلى درجة الحقيقة العلمية ، وكم رجع العلماء عن نظريات كانت مسلمة عند سلفهم . أما الحقيقة القرآنية ، فلا بد من أن تكون قطعية الدلالة حسب اصطلاح علماء أصول الفقه ، أو على الأقل جرى تفسير النص القرآني وفق الأصول المتبعة في علم أصول التفسير ، فإن فهم واحد من علماء المسلمين لقضية قرآنية لا يعد حجة البتة .

وصفوة القول : إذا التقت الحقيقة القرآنية مع الحقيقة العلمية فهو الأصل ، لأن كليهما من عند الله ، وإذا ظهر تعارض فثمة خطأ في فهم إحدى الحقيقتين .

أمثلة الإعجاز العلمي :

١ - مدار الشمس ومدار القمر : قال تعالى :

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٣٧ ﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ٣٨ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿ [يس : ٣٧ - ٤٠] .

فالقُرآن يذكر بوضوح وجود مدار لكل من الشمس والقمر ، ويشير إلى تنقل هذين الجرمين في الفضاء ، كل بحركة خاصة .

٢ - توسع الكون : قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧] .

٣ - تلقيح النبات بوساطة الرياح : قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ لَوْحٍ ﴾ [الحجر : ٢٢] وهي حقيقة اهتدى إليها العلم حديثاً ، فكل نبات له خلايا تذكير وخلايا تأنيث ، إما مجتمعة في زهرة واحدة أو في زهرتين في العود الواحد ، أو منفصلة في عودين أو شجرتين ، والذي ينقل غبار الطلع من خلايا التذكير إلى خلايا التأنيث الرياح في الدرجة الأولى . وهذه الحقيقة لم تكتشف إلا بعد صنع المجهر العادي .

٤ - تكون اللبن في أنثى الحيوان : قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ لَكُم فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُفَكَّرُمَا فِي بَطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ [النحل : ٦٦] .

فالدم واللمف يوصلان الغذاء إلى الغدد الثديية التي تصنع وتفرز اللبن وفق عملية معروفة في علم الكيمياء الحيوية ، وهذه المعلومات لم يتم اكتشافها إلا بعد عشرة قرون تقريباً من نزول القرآن الكريم .

٥ - أطوار النسل الإنساني : ففي القرون الماضية كانت ضروب كثيرة من الخرافات تحيط بالنسل البشري ، ثم جاء القرآن الكريم يقص مراحل المتسلسلة في آيات متعددة بدقة وتحديد عجيبين من نقطة إلى علة إلى مضغة ، وعن أصل مخرج الماء الدافق وتكون الذكر والأنثى وعملية التخلق وشق السمع والبصر وكسوة العظام باللحم وغير ذلك بعبارات بسيطة تعبر عن حقائق علمية أنفقت لمعرفة مئات السنين . وللنبوة دور رديف في إيضاح هذه الحقائق أيضًا .

٦ - السقف المحفوظ : قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٢] .

يلفت القرآن الكريم انتباه البشر إلى أن هناك نظامًا متكاملًا يحيط بالأرض ويحميها من التهديدات الخارجية ، وهذا الذي أشارت إليه الآية منذ أكثر من (١٤٠٠) سنة لم يدركه العلماء إلا في القرن العشرين ؛ فالغلاف الجوي المحيط بالأرض يؤدي وظائف ضرورية لاستمرار الحياة ، وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن طبقة (الماغنتوسفير) المتكونة من حقول الأرض المغناطيسية تشكل أحزمة تعلو الأرض بمسافة آلاف الكيلومترات ، تكون درعًا واقيًا للأرض من كل ما يهدد الكائنات الحية التي عليها . ومن الوظائف الوقائية للغلاف الجوي ما يلي :

أ - تدمير النيازك الكبيرة والصغيرة ومنعها من السقوط

على الأرض ، أو تفتيتها حتى لا تؤذي الكائنات الحية .
ب - حماية الأرض من برد الفضاء المجدد الذي يصل إلى (٢٧٠) درجة مئوية تحت الصفر .

ج - تصفية الأشعة الآتية من الفضاء ، فيمنع الإشعاعات المميتة والضارة التي تصدر باستمرار عن الشمس وغيرها ، ويسمح بالمرور لغير الضارة ، مثل : الضوء المرئي والأشعة فوق البنفسجية ونحو ذلك مما هو أساسي للحياة .

وصفوة القول : في إعجاز القرآن الكريم تظهر في قوله تعالى : ﴿ كَتَبُ أَخْمَكْتَ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمِ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١] . وما ذكرته غيض من فيض مما قرره العلماء عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

* * *

الإسلام

والبشيرة المحمّدية

الفصل الثالث

بشارات الأنبياء به

ويحتوي على الفرعين التاليين :

- توطئة وتمهيد .
- بشارات العهد القديم .
- بشارات العهد الجديد .

توطئة وتمهيد

مما خص الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ به أن جعله خاتم النبيين ، وأرسله رحمة للعالمين ، وأخذ عهداً على كل نبي أرسله أن يؤمن ويبشر أمته به ، وينعته لهم ويأخذ العهد عليهم بنصرته متى بعث . وإنما أخذ الله سبحانه له الميثاق من النبيين مع علمه تعالى أنهم لا يدركونه ، لإظهار فضله ورفع شأنه ، ولتتوالى البشارات والعهود من نبي إلى نبي ومن جيل إلى جيل بالنبي المنتظر ، فما انفك كتاب سماوي عن تضمن ذكر أو بشارة به ، وأهل الكتاب من يهود ونصارى كانوا على علم تام به ، فقد ورد في أسفارهم كثير من صفاته وصفات أمته ، لكن الغالب أن يكون ذلك بإشارات مدرجة أو رموز مُعَرَّضَة لا يعرفها إلا الراسخون في العلم ، لأنها تحتاج إلى تأمل وإمعان نظر ، لاسيما وأن علماء أهل الكتاب كانوا ومازالوا يشوشون وجه الدلالة ، ويلقون الشبهات ، وازداد الأمر غموضاً بنقل هذه الأسفار من لغة إلى لغة ، وبخاصة مع ترجمة الأسماء وذكر معانيها بدلاً من الإبقاء على لفظها ، ومع ذلك فإن من اطلع على أسفار الكتاب المقدس والتوراة السامرية وتأمل النصوص ، وجد

فيها دلائل واضحة لا يمكن حملها إلا على البشارة به ، ومن مجموع ذلك تظهر له الحقيقة الناصعة بالنبي المنتظر .

حتمية تبشير الأنبياء به :

من المعلوم أن ظهور محمد ﷺ وانتشار دينه في مشارق الأرض ومغاربها من أعظم الحوادث في الأرض ، بل هو أعظمها أثرًا ، فقد انتصر على المشركين وظهر على معظم جزيرة العرب ، وانتصر على اليهود وجاهد النصارى حال حياته ، ثم ظهرت أمته على اليهود والنصارى من بعده في أجل الأرض عندهم ، وهي بلاد الشام ، وبخاصة القدس ، كما ظهرت على بلاد الفرس وشمال إفريقيا والصين والهند وبعض أوربة ، وانتشر دينه وامتد ولا يزال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وخرج من أمته الملايين من العلماء الربانيين والحكماء المتقين والملوك العظام والقواد المحنكين .

ومن المعلوم أيضًا أن أنبياء بني إسرائيل أخبروا قومهم بما سيقع من الأحداث الكبيرة في المستقبل ، وبمن يُسلط عليهم من الملوك ويقتلونهم ويخربون بلادهم ويسبون نساءهم وأولادهم ويُهْجَرُونَهُمْ كَبَخْتَنْصَرٍ وَسَنْحَارِيبَ وَالْإِسْكَندَرَ وحلفائه وغير ذلك ، وأعلموهم بظهور الدجال وحذروهم من فتنه وذكروا لهم بعض أموره وأوصافه .

ورسول الله محمد ﷺ أظهر دينه وتحدى بمعجزاته

وطلب تصديقه ، وحدث ما حدث حال حياته وبعد وفاته ، فمن البدهي أن تخبر الأنبياء به على حسب العادة ، وتذكر كتبهم اسمه ووصفه ، سواء كان صادقاً أو كاذباً ، لأنه إن كان صادقاً فالبشارة به من أولى ما تبشر به الأنبياء أممها ليؤمنوا به ، وإن كان مدعيًا فإن فتنته أعظم من فتنه الدجال بكثير ، فالتحذير منه أولى من التحذير من غيره . ولا يكفي فيه التحذير العام من الأنبياء الكذبة ، بل لابد من ذكر اسمه وذكر بعض الأحداث التي تجري حال حياته وبعد وفاته على حسب العادة .

ولم يُنقل قط عن كتاب أن فيه ذكره بالذم والتحذير ، وعامة علماء أهل الكتاب قديماً وحديثاً إما أن يقولوا : ليس له ذكر في كتبنا بصورة خاصة ، أو يقولوا : إن له ذكراً بالمديح والثناء . ولو كان له ذكر خاص بذهمه والتحذير منه ، لكان هذا من أعظم ما يحتجون به عليه وعلى أمته ، ولاحتج به من لم يدخل في الإسلام منهم على من دخل فيه ، ولذكروه لمشركي العرب عندما سألوهم عنه ، فقد كان عندهم من البغض والعداوة والحرص على إبطال دعوته ما دفعهم إلى الافتراء عليه ونعته بصفات لا وجود لها فيه البتة ، فلا يجوز عقلاً أن يخبر الأنبياء ويحذروا من الحوادث الصغرى ، ويهملوا الحادثة العظمى ، ويعد كل البعد ألا يبشر أحدهم بنبوته .

ميثاق النبيين :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

وعن علي وابن عباس ؓ أنهما قالا : ما بعث الله نبيا ، آدم فمن بعده إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه ، وأمره أن يأخذ العهد على قومه ، لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به ولننصرنه ولتبعنه . ثم تلا علي ؓ الآية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ .. ﴾ (١) .

قال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

(١) أخرجه البخاري .

من بشارات العهد القديم

بشارة موسى بنبي يماثله :

١ - جاء في سفر التثنية (١٥/١٨) : يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون .

٢ - (١٧/١٨ - ٢٢) : قال لي الرب : قد أحسنوا فيما تكلموا . أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه ، وأما النبي الذي يطغى ، فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى ، فليقتل ذلك النبي ، وإن قلت في قلبك : كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه .

بشر موسى عليه السلام أسباط إسرائيل الاثني عشر بنبي يقيمه الرب لهم من إخوتهم وليس منهم ، وهو ليس بعيداً عنهم بل من وسطهم . وهذا يعني أنه من ذرية إبراهيم عليه السلام

أيضًا ، وقد بين لهم أن الله سيجعل كلامه في فم هذا النبي ، فيكلمهم بكل ما يوحيه إليه ، ويجب على بني إسرائيل أن يطيعوه ، ثم حذرهم من أن الذي لا يطيع كلامه الذي هو من عند الله ، فإن الله سيكون هو المنتقم منه ، وهذا يعني أنه مؤيد بنصر الله .

ومن علامات صدق هذا النبي أن ما يخبر به من أمور غيبية وحوادث آتية يتحقق ويقع كما أخبر ، وبذلك يتميز عن المتنبيين الكذبة .

كما نبه إلى أن نهاية المتنبي الكاذب هي القتل ، وهذا يعني أن المبشر به لن يستطيع أحد قتله .

فمن هو النبي المنتظر الذي يكلمه الله ويضع كلامه في فمه ، ويشابه موسى في أوضاعه وأحواله وهو من ذرية إبراهيم من إخوة بني إسرائيل وليس منهم ، ويؤيده الله بنصره ، ولن يتمكن أحد من قتله ، بل يموت موتًا ؟

جاء في سفر التثنية (١٠/٣٤ - ١٢) : ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهًا لوجه ، في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه ، وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل .

وهذا يعني نفي قيام نبي مثل موسى عليه السلام حتى كتابة سفر التثنية ، غير أن التوراة السامرية منعت أن يكون هذا النبي من بني إسرائيل البتة ، فقد جاء فيها (١٠/٣٤) : ولا يقوم أيضًا نبي في بني إسرائيل كموسى الذي ناجاه الله شفاهًا في جميع الآيات والمعجزات التي أرسله الله للفعل . وبما أنه لا مثيل لموسى عليه السلام في بني إسرائيل ، تعين أن يكون من ذرية إسماعيل بكر إبراهيم عليه السلام فقد باركه الله ووعد بتكثير نسله كما في سفر التكوين (٢٠/١٧) ، ولم يخرج من ذرية إسماعيل عليه السلام ولا من ذرية غيره من أولاد إبراهيم عليه السلام نبي حتى الآن إلا محمد عليه السلام والأوصاف تنطبق عليه تمامًا وبوضوح ، وهو يماثل موسى عليه السلام في أمور كثيرة : فكلاهما عبد الله ورسول من عنده ، وكلاهما من أب وأم ، وقد تزوجا ورزقا بأولاد ، وكلاهما كلمه الله ، وكلاهما صاحب شريعة كاملة مشتملة على نظام ديني ودنيوي ، وكلاهما أیده الله بمعجزات قوية تحدى بها البشر وفعلها أمام الناس ، وكلاهما جاهد أعداءه بالسلاح وانتصر ، وكلاهما مات على الفراش ودفن في قبر ، فالمماثلة حاصلة من وجوه كثيرة .

المبعوث من جبل فاران :

جاء في سفر التثنية (١/٣٣ - ٢) : وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجلُ الله بني إسرائيل قبل موته فقال : جاء

الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سَعِير ، وتلألأ من جبل فاران .
وفي التوراة السامرية : ولهم لمع من فاران .

ذَكَرَ موسى عليه السلام بني إسرائيل بأخذ الميثاق عليهم في
سيناء واستلامه الألواح ونزول التوراة ، وبشرهم بنبيين من
بعده ، فهذا النص متضمن ثلاث نبوات متتالية ، فمجيء
الله من سيناء بظهور دينه وتوحيده بما أوحى به إلى عبده
ورسوله موسى عليه السلام هناك في جبل الطور ، وإشراقه من
سَعِير : ظهور فضله بإرسال عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل
فهو بشارة به ، لأن سَعِير جبل في فلسطين بجانب مدينة
بيت لحم ، وفي تلك المنطقة ولد المسيح عليه السلام وترعرع .
وتلألأته أو لمعانه من جبل فاران : ظهور أمره إلى العالمين
بأنزال القرآن الكريم على نبيه محمد عليه السلام ، فهو بشارة به ،
لأن فاران أحد الجبال المحيطة بمكة التي ولد فيه محمد عليه السلام
وفيه غار حراء ، حيث كان قبل البعثة يجلس فيه ويتعبد
ويتأمل ، ونزل جبريل عليه فيه لأول مرة بأول آيات نزلت
من القرآن الكريم : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ .

جاء في سفر التكوين (٢١/٢٠ - ٢١) عن رحيل
إبراهيم بابنه إسماعيل وأمه : وكان الله مع الغلام فكبر ،
وسكن في البرية ، وكان ينمورامي قوس ، وسكن في برية
فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر .

وجاء في سفر حَبَقُوق (٣/٣ - ٤) : الله جاء من

تيمان ، والقدوس من جبل فاران ، سلاه جلاله غطى
السموات ، والأرض امتلأت من تسبيحه ، وكان له لمعان
كالنور ، له من يده شعاع .

ولم يخرج أحد من جبال فاران وامتلأت الأرض من
تسبيحه وتسبيح أمته سوى محمد ﷺ .

استبدال العرب ببني إسرائيل :

جاء في سفر التثنية (١٦/٣٢ - ٢١) : أغاروه بالأجانب
وأغاظوه بالأرجاس ، ذبحوا لأوثان ليست الله ، لآلهة لم
يعرفوها ، أحداث قد جاءت من قريب ، لم يرهبها آباؤكم .
الصخر الذي ولدك تركته ، ونسيت الله الذي أبدأك . فرأى
الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته وقال : أحجب وجهي
عنهم ، وأنظر ماذا تكون آخرتهم ، إنهم جيل منقلب ، وأولاد
لا أمانة فيهم . هم أغاروني بما ليس إلهاً ، أغاظوني
بأباطيلهم ، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً ، بأمة غبية أغيظهم .

أنعم الله على بني إسرائيل ، وفضلهم على عالمي
زمانهم ، غير أن النعمة أفسدتهم ، فبطروا ، وبدلاً من أن
يشكروا الله عبدوا الأصنام وقربوا لها القرابين ، فغضب
عليهم ، واصطفى شعباً آخر جاهلاً ومحتقراً في أعينهم
ليغيظهم ، فمن الشعب الآخر ؟

لاريب أنهم العرب أولاد إسماعيل عليه السلام فإنهم كانوا
أمينين في غاية الجهل ، ولم يكن عندهم اتجاه إلى علم ،

وكانوا محتقرين في أعين اليهود ، ويشهد لذلك ما يلي :
 جاء في سفر التثنية (١/٦٥ - ٣) : أصغيت للذين لم
 يسألوا ، وُجِدت من الذين لم يطلبوني ، قلت هاأنذا لأمة لم
 تُسَمَّ باسمي . بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرّد سائر
 في طريق غير صالح وراء أفكاره ، شعب يغیظني بوجهي دائماً .
 فالمراد بالذين لم يسألوني ولم يطلبوني العرب ، لأنهم ما
 كانوا سائلين حقيقة عن دين الله ولا طالبين له ، بل كانوا
 أمة أمية .

خاتم النبيين :

جاء في المزمور (٢٢/١١٨ - ٢٣) : الحجر الذي
 أخره البناؤون قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب الرب
 كان هذا ، وهو عجيب في أعيننا .

ويوضح هذا ما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
 قال رسول الله ﷺ : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل
 رجل بنى بنياناً ، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من
 زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا
 وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » (١) .

وسبب العجب أن اليهود كانوا يحتقرون العرب وبني
 إسماعيل ، فكيف يصير أحدهم رأس الزاوية .

(١) متفق عليه .

من بشارات العهد الجديد

المؤيد بنصر الله :

جاء في إنجيل متى (٤٢/٢١ - ٤٤) وإنجيل لوقا (١٧/٣٠ - ١٨) أن المسيح عليه السلام قال لرؤساء الكهنة ، أما قرأتم قط في الكتب : الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب في أعيننا . لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويُعطى لأمة تعمل أثماره ، من سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه .

الملوكوت من الملك كالرهبوت من الرهبة ، وهو الملك الذي فيه عز وقوة ، ففي النص إشارة واضحة إلى أن هذا النبي مأمور بالجهاد ومؤيد بنصر الله ، لا يقف أحد في ممانعته ، ومن عارضه سحقه ، وقد نزع الله ملكوته من بني إسرائيل ، وأعطاه لأمة محمد عليه السلام تحقيقاً لبركة إسماعيل فقامت بالدعوة خير قيام ، وجاهدت جهاداً تكتنفه الرحمة مع النبي عليه السلام وبعده .

قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿ [آل عمران: ١١٠] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ
الذِّكْرِ أَنْتَ الْأَرْضُ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٥٦﴾ إِنَّ فِي هَذَا
لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَالِمِينَ ﴿١٥٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ ﴿ [الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٧] .

فالأمر منوط بطاعة الله والإخلاص في عبادته والرحمة
بخلقه .

المسيح يبشر بأحمد :

جاء في إنجيل يوحنا (١٤/١٥ - ١٦) : إن كنتم
تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الأب فيعطيك
(بيريكلوتوس) معزيًا آخر ، ليملك معكم إلى الأبد .

(١٤/٢٥ - ٢٦) : بهذا كلمتكم وأنا عندكم ، وأما
(البيريكلتوس) المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب
باسمي فهو يعلمكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم .
(١٤/٣٠) : لا أتكلّم أيضًا معكم كثيرًا ، لأن رئيس
هذا العالم يأتي ، وليس له في شيء .

(١٦/٧ - ٨) : لكنني أقول لكم الحق : إنه خير لكم
أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم (البيريكلتوس)
المعزي ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جاء يُبكت
العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة .

(١٢/١٦ - ١٣) : إن لي أمورًا كثيرة لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية . بعد أن علم المسيح عليه السلام انتهاء مهمته في ذلك الوقت ودع تلاميذه ، وبين لهم ما هم عُرضة له ، وبشرهم برسول يأتي من بعده ، اسمه (بيريكليتوس - PERICLITOS) فما معنى هذه الكلمة ؟ وما أوصاف هذا الرسول ؟ ومن هو ؟

كان المسيح عليه السلام يتكلم الآرامية المشتقة من العبرية ، وهي اللغة العامية التي كان يتكلم بها تلاميذه أيضًا ، وكان يعبر عن المبشر به تارة بلفظ النبي ، وأخرى بلفظ (مَسِيحًا - MESSIAH) أي المسيح ، وأحيانًا باسمه (بيريكليتوس) ، وهي كلمة يونانية ، واللفظ العبري لها مفقود ، ولو كان ثمة إنجيل كتب في أثناء حياة المسيح عليه السلام ومن فمه ، ثم نُقل إلينا بالسند الصحيح المتصل لكان من أغلى الكنوز ، ولحفظت تعاليمه بصحتها ونقاها ، فما من شك أن كاتب الإنجيل الرابع ترجم اسم المبشر به إلى اللغة اليونانية التي كتب بها إنجيله على حسب عادة أهل الكتاب في ترجمة الأسماء ، ثم إن المترجمين إلى العربية عربوا اللفظ اليوناني إلى (فارقليط) ، وكان هذا اللفظ ثابتًا في الأناجيل المترجمة إلى العربية منذ قرنين تقريبًا ، ومنها المطبوع في لندن

عام ١٨٢١ م ، ومنها أيضًا المطبوع عام ١٨٣١ م وعام ١٨٤٤ م ، وهذا يدل ويؤكد أنه اسم لشخص ، وليس صفة له ، ثم خلت الترجمات العربية فيما بعد من هذا اللفظ ، ووضع بدلًا منه كلمة (المعزي) فلو كان بمعنى المعزي من الأصل ، وليس اسم علم ، ما الذي منع القدامى من ترجمته إلى العربية كما ترجموا سائر الكلمات ؟ لا ريب أنهم أثبتوا هذه الكلمة بلفظها لأنها اسم علم لشخص معين ، وليست صفة له ، فما معنى هذا اللفظ ؟

أجرى كثير من العلماء النصارى والمسلمين بحوثًا عن أصل هذه الكلمة ومدلولها كما سيأتي ، ثم خرجوا بالنتائج التالية :
أ - إن كلمة بيريكليتوس PERICLITOS أو بيريكليت PERIKLYTE كلمة يونانية تعني الأكثر حمدًا وشهرة أو الأُمجد والمستحق للمديح كما في قاموس الإسكندر الإغريقي الفرنسي ، وهذا ما يعنيه أحمد ، وهو اسم تفضيل باللغة العربية ، وهو يتناسب مع الكلمة الآرامية محامدا أو حميدًا .

ب - إن قوله تعالى في القرآن الكريم حكاية عن المسيح عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اِنِّىْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اَتِيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُوْلِىْ اَتِيْ مِنْ بَعْدِ اَسْمٰءُ اَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] من أقوى البراهين على أن محمدًا ﷺ هو المبشر به ، إذ لم يكن بوسعه وهو الأمي أن يعرف أن كلمة بيريكليتوس تعني الأكثر حمدًا إلا من خلال الوحي .

ج - إن سياق الكلام والأوصاف المذكورة في النص تدل بوضوح على أن المبشر به بشر مرسل يؤدي أعمالاً بعثه الله من أجلها إلى الناس ، ويظهر ذلك من النواحي التالية ^(١) .

١ - يفهم من الجمل (١٥/١٤ - ٢٥ - ٢٦) أن المبعوث سوف يعزي من بعث إليهم ، ويعلمهم كل شيء يحتاجون حال حياتهم وبعد مماتهم ، ويذكرهم بأقوال المسيح التي نسوها أو خرجوا عنها ، وسوف يمكث ما جاء به وعلمهم إياه مع الناس إلى الأبد يتوارثونه إلى آخر الدهر .

(١) يرى رجال الدين النصارى أن الكلمة التي في إنجيل يوحنا هي (باركليتوس - PARACLYTOS) .

ومعناها من يُدعى للمساعدة ، مثل معزٍ محام ، ويرادفها باليونانية (باراكلون - PARAKALON) والكلمة العبرية المرادفة لكلمة المعزي (مناحيم) ، ويدعون أنه الروح القدس الأقنوم - أي الأصل - الثالث من الثالوث الأقدس الذي حل ويحل في صدور القساوسة ، ولا ريب أن النص كان عرضة للتحريف والتشويه في غياب النقل الصحيح بالأسانيد المتصلة ، وما أثبتته الكنيسة في هذا الإنجيل بعيد من حيث الواقع ومن حيث اللفظ والدلائل ، لأن (باركليتوس) صيغة وثنية لم تكن معروفة في دنيا الأدب الإغريقي كما قال المحققون ، ومنهم عبد الأحد داود ، ثم إن التفاوت بين اللفظين يسير جداً ، والحروف اليونانية كانت متشابهة ، فتبديل كلمة بيريكلوتس بباركليتوس غير مستبعد ، ويأتي مزيد لذلك . وانظر محمد في الكتاب المقدس لعبد الأحد (ص ٢٠٧ - ٢٢٩) ، إظهار الحق (٢/ ٢٧٩ - ٢٨٣) دراسة لموريس (ص ١٢٧ - ١٢٩) ، وتفاصيل ذلك في كتابي ميثاق النبیین (ص ٤٢٤ - ٤٥٨) .

وهذا يدل على أنه بشر ، لأن تلك الأمور من خواص النبوة .
ومحمد ﷺ بشر رسول ، وعبد نبي ، بعثه الله تعالى
إلى العالم كله بشريعة كاملة شاملة ، تقرر الأصول والأسس
التي جاء بها الأنبياء السابقون ، وهي ثابتة مع الناس إلى
الأبد بثبات القرآن الكريم الذي حفظه الله ونقل بالتواتر ،
وبثبات سنته المطهرة المنقولة بالأسانيد المتصلة الصحيحة ،
وهو خاتم النبيين ، فلا كتاب بعد كتابه ، ولا ناسخ لشرعه .

أما قوله (الروح القدس) وقوله في (١٦/١٣) (روح
الحق) فقد رجح بعض الباحثين - ومنهم موريس بوكاي -
أن تكون مدسوسة . وعلى فرض صحتها ، فإنها لا تمنع أن
يكون المبشر به إنساناً ، لأن المراد النبوة والهداية ، فهو غاية
التعظيم والمدح ، ولفظ الروح عند أهل الكتاب يطلق أيضاً
على النبي الذي هو من البشر الذين أرسل إليهم كما في
رسالة يوحنا (ص ١ - ٦) .

٢ - جاء في الجملة (١٤/٣٠) أن رئيس هذا العالم
يأتي . فمن سيد هذا العالم وعظيمه الذي يأتي من بعد
المسيح ﷺ ؟ لابد أن يكون بشراً من هذا العالم مثل سائر
الناس ، ولم يأت بعد رفع المسيح ﷺ من ساد العالم
برسالته وشريعته سوى محمد ﷺ .

٣ - جاء في الجملة (١٦/٧) أن المسيح ﷺ علق
مجيء المبشر به بذهابه وانتهاء مهمته في ذلك الوقت .

وهذا يعني أنهما لا يكونان في وقت واحد معًا كما كان الحال في بني إسرائيل قبله وفي أثناء وجوده ، فمجيء المبعوث به إنما يكون بعد ذهابه ، ومحمد ﷺ جاء بعد رفع المسيح ﷺ بمشيئة الله وحده ، فهو الذي قرر تلك الأمور .

٤ - جاء في الجملة (٨ / ١٦) أنه يبكت العالم ويوبخه على خطية وعلى بر وعلى دينونة ، فمن جاء بعد المسيح ﷺ ووبخ العالم على خطاياهم ، وحثهم على البر ، وأنذرهم بيوم الحساب والجزاء سوى محمد ﷺ فقد كان العالم عند بعثته مملوءًا بالكفر ، فوبخ الوثنيين أجمعين ، ووبخ اليهود الذين كفروا بالمسيح ﷺ وافتروا على أمه وولادته ، وأرادوا محاكمته وصلبه ، ووبخ أيضًا النصارى الذين خرجوا عن تعاليمه وضلوا عن حقيقته ، فمحمد ﷺ روح الحق الذي جلى للناس كل الحقيقة عن وحدانية الله المطلقة ، وعن طبيعة المسيح ﷺ الحقيقية والرسالة التي جاء من أجلها بتصميم وحماسة وشجاعة ، فأرسل الرسائل والسفراء إلى الملوك والأمراء .

٥ - أخبر المسيح ﷺ أتباعه في الجملتين (١٢ / ١٦) - (١٣) أن لديه أمورًا وأحكامًا كثيرة ، غير أنه امتنع عن ذكرها لتلاميذه إشفاقًا عليهم ، لأنهم لا يستطيعون تلقيها وحملها ، لكن متى جاء المبعوث به فإنه سيرشد العالم إلى جميع الحق ، ويعلمهم كل ما يتعلق بوحداية الله وأسمائه وصفاته ودينه

الذي ارتضاه وختم به الأديان . وهذا يعني أنه سيكون صاحب شريعة كاملة شاملة ، فيه جميع ما يحتاجه من أمور الدنيا والآخرة .

٦ - جاء في الجملة (١٣/١٦) أن المبشر به لا يتكلم من عند نفسه ، بل يتكلم بكل ما يسمع . وهذا يدل على أنه بشر كسائر الأنبياء يوحى إليه بكتاب وشرع ، وليس علماً تعلمه من الناس أو عرفه باستنباطه وذكائه ومحمد ﷺ أوحى الله إليه بالقرآن وجعله في قلبه ، فخرج للناس من فمه الطهور .

٧ - جاء في الجملة نفسها أن المبشر به سيعرفهم بأمر آتية . ومحمد ﷺ أخبر بكل ما سيأتي من حوادث وفتن ، وذكر أشراط الساعة الصغرى والكبرى ، وبين ما يكون بعد الموت ويوم القيامة حيث الحساب والجزاء ، والجنة أو النار ، فكان بحق روح الحق .

٨ - إن الأوصاف والأعمال المذكورة للمبشر به في النص مثل الشهادة للفارقليط الأول ، وتذكير الناس بكل ما قاله وتعليمهم كل شيء وتوخيخ العالم على الخطايا وغير ذلك إنما تناسب بشراً يراه الناس بعيونهم ويسمعونه بآذانهم ، فيتصل بهم ويتحدث إليهم .

إن فعل يتكلم أو يتحدث في جميع اللغات معناه يصدر الأصوات ، وقد تكرر هذا الفعل كثيراً في النص اليوناني إشارة إلى تصريح المسيح ﷺ وتبشيريه ، كما أن فعل

يسمع معناه يستقبل الأصوات ، فهو اتصال ذو طابع مادي بحت ، لأن إصدار الصوت وسماعه لا يمكن أن يخصا إلا كائنا بشريًا يتمتع بجهاز للكلام وآخر للسمع ليتصل بالناس ، فيتحدث إليهم ويسمع منهم .

٩ - ادعى كثير من النصارى قبل ظهور محمد ﷺ أنهم مصاديق كلمة (فارقليط) الذي بشر به المسيح ، واتخذوا هذا الاسم ، وصار لهم أتباع كثيرون ، مثل منتس الذي ظهر في القرن الثاني الميلادي عام ١٧٧م تقريبًا في آسيا الصغرى ، وقبل كثير من الناس قوله واتبعوه ^(١) .

فهذا يعني أن انتظار (الفارقليط) كان معروفًا في القرون الميلادية الأولى ، وأن المسيحيين كانوا يعتقدون أن الذي وعدوا به إنما هو بشر رسول .

نصارى عرفوا معنى الفارقليط واعتنقوا الإسلام :

اعتنق كثير من مفكري النصارى ورجال دينهم دين الإسلام رغبة في اتباع الحق بعد دراسة عميقة انقشعت فيها الشبهات ، وتجلت الحقائق الثابتات ، وكان إيمانهم عن رغبة وعلم ، ومنهم من يلي :

١ - القس الأسباني إنسلم تورميذا :

أصله من مدينة ميوركة التي تقع شرق أسبانيا ، تلقى

(١) انظر المصادر والمراجع المذكورة في الحاشية السابقة .

دراسته في الكتاب المقدس منذ نعومة أظفاره ، ثم انقطع لطلب العلم فترة طويلة ، سحب فيها أساطين العلم النصرانية ، ومنهم نقلا دمارتيل الذي كانت له منزلة رفيعة في العلم والشأن عند النصارى ، فقد قرأ عليه علم أصول دين النصرانية وأحكامه ، ولم يزل يتقرب إليه بخدمته حتى صار من أخص خواصه ، ومكث على ذلك عشر سنين ، وذات يوم أصاب القس الكبير مرض فتخلف عن مجلسه ، وتذاكر الطلبة في مسائل من العلم إلى أن أفضى بهم الحديث إلى قول المسيح عليه السلام « يأتي من بعدي البارقليط » ، فبحثوا في تعيينه ، وقال كل منهم بحسب علمه وفهمه .

قال إنسلم : فأتيت مسكن صاحب الدرس فأخبرته باختلاف القوم فقال : إن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا الراسخون في العلم . فبادرت إلى قدميه أقبلهما وقلت له : يا سيدي قد علمت أنني ارتحلت إليك من بلد بعيد ، ولي في خدمتك عشر سنين ، فلعل من جميل إحسانكم أن تكمل علمي بمعرفة هذا الاسم الشريف . فبكى وقال : يا ولدي ، والله إنك لتعز علي كثيرا من أجل خدمتك لي ، وإن في معرفة هذا الاسم فائدة عظيمة ، لكن أخاف أن يظهر ذلك عليك فتقتلك النصارى . فقلت له : والله العظيم وحق الإنجيل ومن جاء به ، لا أتكلم بشيء مما تسره لي إلا عن أمرك . فقال : اعلم يا ولدي أن

البارقليط اسم من أسماء نبي المسلمين محمد ﷺ وعليه أنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال ، فقد أخبر أنه سينزل عليه هذا الكتاب ، وأن دينه دين الحق ، وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل . قلت : يا سيدي ، وما تقول في دين النصارى ؟ قال : لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكان على دين الله ، لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله تعالى . فقلت : وكيف الخلاص ؟ فقال : بالدخول في الإسلام .. فقلت : فما يمنعك عنه . قال : يا ولدي إن الله لم يطلعني على حقيقة ما أخبرتك إلا بعد أن كبرت سني ووهن جسمي ، ولا عذر لنا فيه ، بل حجة الله علينا قائمة .. وأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى من الجاه والعز والشرف وكثرة عرض الدنيا ، ولو ظهر عليّ شيء من الميل للإسلام لقتلتني العامة .. وأنا والحمد لله على دين عيسى وعلى ما جاء به ، يعلم الله ذلك عني . فقلت : يا سيدي أفتدلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين وأدخل في دينهم ؟ فقال : إن كنت عاقلاً طالباً للنجاة في الدنيا والآخرة فبادر ، ولكن يا ولدي هذا أمر لم يحضره أحد معنا الآن فاكتمه ، وإن ظهر عليك شيء تقتلك العامة لحينك ، ولا أقدر على نفعك ، ولا ينفعك أن تنقل ذلك عني ، فإني أجحده ، وقولي مصدق عليك ، وقولك غير مصدق عليّ .

ثم قدم تونس في زمن أبي العباس أحمد بن المستنصر الحفصي (٧٧٢ - ٧٩٦ هـ) وأعلن إسلامه وبعد إتقانه اللغة العربية صار يترجم من الإيطالية والفرنسية ، فسمي عبد الله الترجمان ، ألف كتابه تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب باللغة العربية عام ٨٢٣ هـ ، ثم ترجم إلى اللغة الفرنسية ونشر في مجلة تاريخ الأديان بباريس عام ١٨٨٥ م ^(١) .

٢ - المستشرق الإيطالي كارلونيلى يفسر :

ذكر الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء ^(٢) أنه كان طالبًا في دار العلوم سنة ١٨٩٤ م وكان يجلس بجانبه في درس اللغة العربية الدكتور كارلونيلى المستشرق الإيطالي ، وكان يحضر اللغة العربية بتوصية من الحكومة الإيطالية ، فانعقدت بينهما أواصر الصحبة .

قال عبد الوهاب : وفي ليلة السابع والعشرين من رجب سنة ١٣١١ هـ خرجنا بعد المحاضرة وسرنا ، ثم قلت له : ما معنى (بيريكلوتس) فقال : القسس يقولون معناها المعزي . قلت : إني أسأل الدكتور كارلونيلى الحاصل على الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية القديمة ، ولست أسأل قسًا ، فقال :

(١) انظر تحفة الأريب (ص ٣٣ - ٤٠) طبعة دار المعارف بالقاهرة عام (١٩٨٤ م) .

(٢) (ص ٣٩٧ - ٣٩٨) .

معناه الذي له حمد كثير . فقلت : هل يوافق ذلك أفعل التفضيل من فعل حمد ؟ فقال : نعم : فقلت أن رسول الله ﷺ من أسمائه أحمد . فقال : يا أخي ، أنت تحفظ كثيراً . ثم افترقناه وقد ازددت بذلك تثبناً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] .

٣ - البروفسور ديفيد بنجامين كلداني :

قسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدانيين والأستاذ في علم اللاهوت ، ولد عام ١٨٦٧م في أورميا من بلاد فارس ، كان يحمل شهادة الليسانس في علم اللاهوت ، وفي عام ١٨٩٢ أرسله الكاردينال فوهان إلى روما حيث تلقى تدريباً في الدراسات الفلسفية واللاهوتية في كلية بروبوغا ندافيد ، وفي عام ١٨٩٥ ثم ترسيمه كاهناً ، كان محباً للعلم كثير التأمل ، وكان مما شغل تفكيره كلمة (بيريكليتوس) فأثبت في تحقيقه أن ترجمة هذه الكلمة إلى العربية توافق اسم أحمد في معناه ومغزاه ، ولا يمكن أن تكون معزياً ولا محامياً ولا وسيطاً عن الله ، اعتنق الإسلام عام ١٩٠٤م ، وألف كتابه (محمد في الكتاب المقدس) باللغة الإنكليزية ، ثم ترجم إلى العربية ، وهو الذي اقتبسنا منه ، وكتاباً آخر اسمه (الإنجيل والصليب)

وضح فيه أن الكلمات اليونانية التي في التوراة والإنجيل بمعنى أحمد وإسلام .

٤ - المفكر الفرنسي الدكتور موريس بوكاي :

قام الدكتور موريس بدراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، واستطاع أن يثبت بالأدلة العلمية أن القرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد الذي خلا من التحريف والتبديل ويقف صامداً أمام الحقائق العلمية التي تؤيده ، ألف كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث) باللغة الفرنسية ، ثم ترجم إلى العربية ، وقد أجرى فيه تحقيقاً في الكلمة الواردة في إنجيل يوحنا التي تفسرها الكنيسة بالمعزي أو المحامي ، وتدعي أنه الروح القدس ، أي الأقدوم - أو الأصل - الثالث من الثالث الأقدس فقال : من الغريب أن ننسب إلى الروح القدس الفقرة التي تقول : « لن يتكلم بإرادته ، وإنما سيقول ما يسمع ويعرفكم بكل ما سيأتي » إذ من غير المعقول أن ننسب إلى الروح القدس سلطان التحدث وأن يقول ما يسمع ، وإن أي نقد للنصوص يبدأ بالبحث عن الاختلافات النصية .

ثم يقول : فيبدو أن الاتصال بالناس هو المقصود هنا ، ولا يمكن مطلقاً أن يكمن في إلهام من عمل الروح القدس ،

بل إنما هو اتصال ذو طابع مادي بحث بسبب مفهوم إصدار الصوت .. فهذا يؤدي بنا إلى أن نرى في (الباراكليت) عند يوحنا كائنًا بشريًا مثل المسيح يتمتع بحاستي السمع والكلام ، فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائنًا بشريًا على هذه الأرض ليؤدي الدور الذي ذكره يوحنا ، وهو دور نبي يسمع وحي الله ، ثم يكرر على مسامع البشر رسالته .

ويؤدي الدكتور موريس شكوكه في كلمتي الروح القدس فيقول : إن وجود كلمتي الروح القدس في النص الذي بين أيدينا اليوم ربما يكون نابغًا من إضافة لاحقة إرادية تمامًا ، تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض بإعلانها مجيء نبي بعد المسيح مع تعاليم الكنائس الوليدة التي أرادت أن يكون المسيح خاتم الأنبياء ^(١) .

القبلة الجديدة :

جاء في إنجيل يوحنا (١٩/٤ - ٢١) : قالت المرأة - أي السامرية - له : يا سيد ، أرى أنك نبي ، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل ، وأنتم تقولون : في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه . فقال لها يسوع : يا امرأة ، صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب .

(١) انظر كتابه (ص ١٢٧ - ١٢٩) .

كان العداء مستفحلاً بين العبرانيين والساميين في زمن المسيح عليه السلام حتى إن العبرانيين لا يتعاملون مع الساميين ، ولما كان المسيح عليه السلام نبياً لم يبال بهذا العداء ، فذهب إلى منطقة الساميين ليشر بدعوته ، فسأله المرأة بعد ما علمت من كلامه أنه نبي : أئنا على الحق نحن الذين نقدر على جبل جرزيم أم أنتم الذين تقدسون جبل صهيون وتصلون ناحيته ؟ فأجابها المسيح عليه السلام بأن القبله ستزعم من هذا المكان كله ، وتتحول إلى مكان آخر .

وهذا ما حدث ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باستقبال الصخرة في بيت المقدس في أول الأمر ، فكان يصلي بمكة بين الركنين ، فتكون الكعبة بين يديه وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما ، فاستقبل بيت المقدس ، واستمر على ذلك بضعة عشر شهراً ، وكان يحب قبله إبراهيم عليه السلام فجعل يقلب وجهه في السماء داعياً ، فأجيب إلى ذلك ونزل قوله تعالى : ﴿ قَدْ رَأَى ثَقْلُكَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

منتظر الأمم :

جاء في إنجيل برنابا (١/٩٦ - ١٢) (١) : ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عالٍ : قف يا يسوع ، لأنه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكينًا لأمتنا . أجاب يسوع : أنا يسوع بن مريم بشر مائت ، ويخاف الله ، وأطلب ألا يُعطى الإكرام والمجد إلا لله . أجاب الكاهن : إنه مكتوب في كتاب موسى أن إلها سِيرسل لنا مَسِيحًا الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله ، وسيأتي للعالم برحمة من الله ، لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق ، هل أنت مسيا الذي ننتظره ؟ أجاب يسوع : حقًا إن الله وعد هكذا ، ولكنني لست إياه ، لأنه سيأتي بعدي . أجاب الكاهن : إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي و قدوس الله ، لذلك أرجوك أن تفيدنا حُبًا في الله بأية كيفية سيأتي مسيا ؟ أجاب يسوع : لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي ، إني لست مسيا الذي ننتظره كل قبائل الأرض ، كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلًا : بنسلك أبارك قبائل الأرض ، ولكن عندما يأخذني الله من العالم ، سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة ، بأن يحمل عادَم

(١) برنابا أحد تلاميذ المسيح ﷺ والكنايس لا تعترف بإنجيله ، فقد أصدر البابا جلاسيوس الأول [٤٩٢م - ٤٩٦م] أمرًا يعدد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها ، ومنها إنجيل برنابا . فهو موجود قبل بعثة محمد ﷺ ولم يعرفه المسلمون إلا بعد اكتشاف الأوربيين إياه .

التقوى على الاعتقاد بأني الله أو ابن الله ، فيتحنس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمنًا ، حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي سيأتي من الجنوب بقوة ، وسيبىد الأصنام وعبدتها .

وفي (٩٧/٤ - ١٨) : فقال حينئذ يسوع : إن كلامكم لا يعزيني ، لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور ، ولكن تعزيتي في مجيء الرسول الذي سيبىد كل رأي كاذب في ، وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره ، لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم ، وإن ما يعزيني هو أنه لا نهاية لدينه ، لأن الله سيحفظه صحيحًا . أجاب الكاهن : أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله ؟ فأجاب يسوع : لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله . فقال الكاهن : ماذا يسمى مسيا ؟ وما هي العلامة التي تعلن مجيئه ؟ أجاب يسوع : إن اسم مسيا عجيب ، لأن الله سماه لما خلق نفسه ، ووضعها في بهاء سماوي وقال : اصبر يا محمد ، لأنني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجنًا غفيرًا من الخلائق التي أهبها لك ، حتى إن من يباركك يكون مباركًا ومن يلعنك يكون ملعونًا ، ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص ، وتكون كلمتك صادقة ، حتى إن السماء والأرض تهنان ، ولكن إيمانك لا يهن أبدًا ، إن اسمه المبارك محمد . حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا الله ، أرسل

لنا رسولك ، يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم .
قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾
[الأحزاب : ٤٠] .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

* * *

الإسلام والبشرية الحاضرة

الفصل الرابع

البعثة وأدوار الدعوة

ويحتوي على ما يلي :

- توطئة وتمهيد .
- الدور المكّي والصبر على الاضطهاد .
- الدور المدني والإذن بالقتال .
- لا إكراه في الدين .

توطئة وتمهيد

كانت الأوهام والعداوات الدينية والتعصب الأعمى تحول دون دراسة علمية موضوعية حقيقية لعظمة النبي محمد ﷺ عند الغربيين ، فليس في ذاكرتهم إلا ما تلقوه في الكتب والصحف التي تصف هذا الرجل بأنه بدوي من عرب مكة ، لفق دينه مما سمعه من أهل الكتاب ومما شاهده عند القبائل البدوية ، ثم جمع لنصرتة آلاف الأعوان من الجاهليين الذين أكرهوا شعوبًا على اعتناقه بالسيف ، بل إن المغرضين ليدخلون في رُوع الناس أن تاريخ محمد ﷺ وأصحابه وأمتة سلسلة مخيفة من الدماء والبطش ، ومع ذلك فقد استطاعت سيرته أن تنفذ إلى الكثير من الباحثين الذين اعترفوا بعظمته وأشادوا في تقديره .

قال الكاتب الإنكليزي برنارد شو : لقد عمد رجال الإكليروس في العصور الوسطى إلى تصوير الإسلام في أحلك الألوان بسبب الجهل أو التعصب الذميم ، والواقع أنهم كانوا يسرفون في كراهيته وكراهية دينه ، ويعدونه خصمًا للمسيح ، أما أنا فأرى أنه من الواجب أن يدعى محمد منقذ الإنسانية ، وأعتقد لو أن رجلاً مثله تولى زعامة

العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته ، ولأحل في العالم السلام والسعادة ، وما أشد حاجة العالم إليهما اليوم .

وهذا ما يدفعنا إلى استعراض طرف من حياته وسيرته ﷺ قبل البعثة وفي أثنائها وبعدها لتنجلي حقيقة هذا الرجل وحقيقة الدين الذي جاء به .

البعثة :

لم تتأثر فطرة محمد ﷺ قبل البعثة بما كان عليه أهل الجاهلية ، بل كانت صافية سليمة ، فقد بغض الله إليه الأوثان والأباطيل والعادات والسلوك الذميم ، فلم يسجد لصنم قط ، ولم يذق المسكر ، ولم يلعب بالميسر ، ولم يكذب ولم يخدع منذ نشأته ، وفي السنة الثامنة - أو التاسعة - والثلاثين من عمره حبب الله إليه الخلوة ، فكان يخلو بغار في جبل قريب من مكة ، اسمه غار حراء ، وهو أحد جبال فاران المحيطة بمكة والممتدة نحو الشمال ، حيث كان يتعبد فيه أيامًا بعد أيام يتزود لها ، وكان تعبدته تفكيرًا فيما آل إليه أمر الناس من الظلمات المنافية للتفكير السليم والفطرة الصافية ، ويفكر أيضًا في السبيل إلى إنقاذهم ، فلما كمل له أربعون سنة أشرق عليه نور النبوة ، فجاءه الملك جبريل عليه السلام وهو في الغار بسورة العلق ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فرجع رسول الله

ﷺ يرجف فؤاده (١) .

وبنزول الوحي عليه في هذا المكان تحققت بشارة موسى ﷺ به كما جاء في سفر التثنية (١ / ٢٣ - ٢) ، فحصل التلألاً واللمعان من جبل فاران ، بعد أن تحققت بعبسى ﷺ وحصل الإشراق من جبل سعيير .

وبعد أن نبأه الله سبحانه بتلك السورة ، فأمره بالقراءة بنفسه ، أنزل عليه بعد ذلك ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ ۝ قُرْ فَأَنْذِرْ ۝ ﴾ وَرَبِّكَ فَكَذِّبْ ﴿ فبعثه إلى الناس وأمره بالتبليغ ، فابتدأت مراحل الدعوة في مكة المكرمة سرّاً ، ثم جهراً وصبراً ، وبعد ذلك في المدينة دعوة وجهاداً .

عن ابن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ أنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين ، فمكث ثلاث عشرة سنة ، ثم أمر بالهجرة ، فهاجر إلى المدينة ، فمكث عشر سنين ، ثم توفي (٢) .
وفي رواية البخاري والترمذي : وهو ابن ثلاث وستين سنة .

(٢) أخرجه الشيخان وغيرهما .

(١) أخرجه الشيخان .

الدور المكي والصبر على الاضطهاد

الدعوة إلى الله سرًا :

كان من البدهي أن يعرض الإسلام في بادئ الأمر سرًا على ألصق الناس به ، وهم أهل بيته وأصدقاؤه المقربون ، ثم على كل من يتوسم فيه خيرًا ورجاحة عقل ، فأجابه جمع منهم ، عرفوا فيما بعد بالسابقين الأولين ، وكان في مقدمتهم زوجته خديجة رضي الله عنها ثم ابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان قد سمع من أهل الكتاب أن خاتم النبيين قد أظل زمانه ، فعلم أنه النبي المنتظر وصدقه ، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي ، فتمنى أن يكون شابًا ليساعده في الدعوة ، لكن سرعان ما قضى نحبه قبل أن يؤمر بالتبليغ ، فمات على الإيمان ، وآمن به ابن عمه علي رضي الله عنه وكان ابن ثمانين سنين ، وكذلك خادمه زيد بن حارثة رضي الله عنه أما صديقه الحميم أبو بكر رضي الله عنه فما لبث أن صدقه حين عرض عليه الأمر ، ثم نشط هؤلاء في أمر الدعوة ، ولا سيما أبو بكر رضي الله عنه فقد كان تاجرًا ذا خلق ومعروف كبير ، فطفق يدعو من يغشاه ويثق به فاستجاب له ناس ، حتى بلغ عدد من أسلم قرابة أربعين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجتمع بهم سرًا ، فيقرأ عليهم

ما نزل عليه من القرآن ويعلمهم .

الجهر بالدعوة :

أقام النبي ﷺ يدعو إلى الله سرًا ثلاث سنين ، دخل الناس خلالها في الإسلام أرسالًا من الرجال والنساء ، وفشا ذكر ذلك في مكة ، غير أن قريشًا لم تعره اهتمامًا ، ثم نزل الوحي بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فامتثل أمر ربه وأظهر الدعوة ، فدعا بني هاشم ، فحضرُوا ومنهم ناس من بني عبد المطلب ، وكان ردهم لطيفًا غير عمه أبي لهب ، فإنه قال : خذوا على يديه قبل أن يأخذه غيركم .

ثم أعلن الدعوة بين قومه امتثالًا أيضًا لقوله تعالى : ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤] أي شق جموعهم بالتوحيد ، فصعد على جبل الصفا وجعل يناديهم بأسماء قبائلهم حتى اجتمعوا ثم أخبرهم أنه نذير لهم ، فقال له عمه أبو لهب : تبًا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا .

ولم ينكر عليه أكثرهم حتى بادأهم بعيب آلهتهم وأصنامهم ، فانفجرت بهم مشاعر الغضب ، ثم شرع في دعوة العرب قاطبة ، ففي السنة الرابعة من البعثة انتهاز فرصة موسم الحج ، فجعل يدعوهم قبيلة قبيلة يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » ، فمنهم من يرد ردًا لطيفًا

، ومنهم من يرد ردًا قبيحًا ، وعمه أبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه ، فإنه صابئ كذاب . فيقولون : أسرتك وعشيرتك أعرف بك ، وكان يفعل ذلك في كل موسم ومناسبة ومعه أبو بكر رضي الله عنه فلم يجد من يجيبه ، لكن انتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

الاضطهاد والمصابرة :

بدأ الاضطهاد في أواسط السنة الرابعة من البعثة ، فكان المشركون يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس وحوله المستضعفون من أصحابه ويقولون : أهؤلاء جلساؤه ؟ ثم وثبت كل قبيلة إلى من أسلم منها فعذبوهم وسجنوهم بغية أن يفتنوهم عن دينهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب من بعض المسلمين ألا يعلنوا إسلامهم ، فكان عامة أصحابه يخفون إسلامهم ودعوتهم ، ومن أراد منهم الصلاة ذهب في شعاب مكة يستخفي بصلاته ، وبقي المستضعفون في أيدي المشركين يسومونهم سوء العذاب حتى مات بعضهم ، فلما اشتد البلاء بهم أشار عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة فقال : لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكًا عادلًا لا يظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه . فهاجر بعضهم .

وساومت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت إليه عتبة بن ربيعة يعرض عليه لإغداق كل ما يمكن أن يكون مطلوبًا له

ليكيف عن دعوته ، فجاءه وقال له : إن كنت تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك ريثما تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا أموالنا حتى نبرئك منه ، حتى إذا فرغ قرأ النبي ﷺ أوائل سورة فصلت ، فلما سمعها عتبة أنصت لها ثم ذهب إلى قريش خائبا .

وفي السنة السابعة من البعثة اجتمعت قريش ، وتعاهدوا على حصار بني هاشم وبني المطلب وقطيعتهم في البيع والشراء والنكاح وغير ذلك حتى يهلكوا أو يسلموا إليهم محمداً ليقتلوه وكتبوا بذلك صحيفة . واستمر الحصار ثلاث سنوات ، فتضوروا جوعاً وعطشاً ، ولحققتهم مشقة عظيمة حتى أكلوا ورق الشجر .

ولما اشتد بلاء قريش على رسول الله ﷺ خرج في السنة العاشرة للبعثة مع زيد بن حارثة إلى قبيلة ثقيف في الطائف مشياً على الأقدام رجاء أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه ، وأقام بها عشرة أيام يدعوهم ، فاستهزؤوا به وقالوا : اخرج من بلادنا ، ولما انصرف أغروا به سفهاءهم فوقفوا له سباطين وجعلوا يرمونه بالحجارة ويصيحون خلفه ويسبونونه ويضحكون حتى أدموا عرقويه وكعبيه . وكان زيد ﷺ يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه .

إجابة أهل المدينة ومبايعتهم :

كان رسول الله ﷺ لا يسمع بقدام إلى مكة له شرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله وعرض عليه أن يعينه حتى يبلغ رسالة ربه وله الجنة . وفي السنة الحادية عشرة من البعثة ، خرج النبي ﷺ في موسم الحج على عادته ليلاً حتى لا يحول بينه وبين القبائل أحد من المشركين ، وكان معه أبو بكر وعلي رضي الله عنهما فمروا ببعض القبائل فردوا ردًا لطيفاً ولم يستجيبوا ، ثم مروا بعقبة منى فالتقوا بستة أشخاص من أهل المدينة ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن ، فقال بعضهم لبعض : إنه للنبي الذي تَوَعَدنا به يهود ، وكانوا كثيرًا ما يسمعون منهم ذلك ، لأنهم كانوا يساكنونهم في المدينة ، فآمنوا به وصدقوه ، ووعدوه أن يرجعوا إلى قومهم ويدعوهم إلى ما دعاهم إليه في الموسم العام القابل .

وفي موسم العام التالي وافى النبي ﷺ ليلاً عند العقبة اثنا عشر رجلاً منهم ، فبايعوه ما أراد . ثم انصرفوا إلى المدينة ، وبعث النبي ﷺ معهم رجلين يقرئانهم القرآن ، فأسلم على يديهما خلق كثير بحيث لم تبق دار إلا وفيها رهط يظهرون الإسلام .

ولما حان موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من البعثة

تسائل المسلمون من أهل المدينة : حتى متى رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ؟ فلما قدموا جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات واعدوه بعدها في الشعب الذي عند العقبة بعد مضي ثلث الليل ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين . فلما اجتمعوا دعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ثم بايعوه على النصره إذا قدم إليهم ، ورجعوا إلى المدينة .

* * *

الدور المدني والإذن بالقتال

الهجرة والمواخاة :

أمر النبي ﷺ من كان معه بمكة من المسلمين بالهجرة إلى المدينة ، وقال لهم : إن الله قد جعل لكم إخوانًا ودارًا يأمنون بها . فبادروا إليها وخرجوا أرسالاً يتبع بعضهم بعضًا سرًا ، إلا قليلًا منهم هاجروا علنًا ، وطفق المشركون يحولون بينهم وبين خروجهم ، فلم يبق في مكة إلا من حبسه المشركون من المستضعفين .

وأقام النبي ﷺ بمكة ينتظر الإذن من ربه بالهجرة ، وبقي معه أبو بكر وعلي رضي الله عنهما واجتمعت قريش في دار الندوة للتشاور في أمره ، ثم اتفقوا على أن يخرجوا من كل قبيلة شابًا جلدًا ، فيقفون أمام باب بيته ، ويضربونه ضربة رجل واحد عند خروجه ، فيتفرق دمه بين القبائل ، ويعجز قومه عن طلب الثأر ، فيرضون بالدية ، غير أن الله سبحانه أرسل إلى جبريل عليه السلام وبلغه الأمر بالهجرة ليلاً ، فجاء إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه وأخبره بالإذن وأمره بالتجهز ، وواعده السحر ، ثم خرجا ومكثا بغار ثور ثلاثة أيام لتهدأ العيون ،

وطلبه المشركون أشد الطلب ، وجعلوا جوائز لمن يأسره أو يقتله ، ومروا على الغار ، فأعمى الله أبصارهم عنهما .
وعلمت الأنصار بقدومه ، فتلقوه بظهر الحرة ، ونزل في بني عمرو بن عوف ، ولبت فيهم بضع عشرة ليلة ، فأسس المسجد عندهم في قُباء وصلى فيه ، ثم ارتحل من قُباء إلى المدينة ، وفرح أهلها بقدومه وتنازعوا أيهم ينزل عنده ، حتى بركت ناقته جانب دار أبي أيوب ؑ فنزل عنده ، ولم يزل في منزله حتى بنى مسجده ومساكنه بجواره .

ولقي المهاجرون عند الأنصار خير دار وخير جوار ، أحلّوهم في بيوتهم وقاسموهم أموالهم ، بل آثروهم على أنفسهم ، وما نزل مهاجر على أنصاري إلا بقرعة ، وأخى النبي ﷺ بين الجانبين وعوضهم الله خيراً مما ضحوا به .

الإذن بالقتال :

أقام النبي ﷺ وأصحابه ؓ في مكة بضع عشرة سنة يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادلون بالتي هي أحسن ، ولحقت به وبأصحابه الإحن والحن ، فصبروا على ما أوذوا في جنب الله كما سلف ، ومن فكر منهم بالدفاع عن نفسه قيل له كما ورد في الآية ﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ فكانوا مأمورين بالصبر . ولما هاجروا إلى المدينة فراراً بدينهم وبدنهم صادرت قريش أموالهم وصدتهم عن المسجد الحرام بمكة ، وحرضت عليهم قبائل العرب ،

فشمروا لهم ساعد العداوة ، ومكر بهم جيرانهم اليهود ، فكانوا في قلق دائم .

وجاء الإذن بالقتال في أول السنة الثانية للهجرة ، فأنزل الله سبحانه : ﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۝ ﴾ [الحج : ٣٩ - ٤٠] ، وهي أول آية نزلت في الجهاد ، ثم أنزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ ﴾ [البقرة : ١٩٠] وقوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَبَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ ﴾ [البقرة : ١٩٣] وقوله : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ ﴾ [التوبة : ٣٦] .

الجهاد المشروع والظلم الممنوع :

ثم فرض الجهاد العادل الرحيم للمحافظة على الكيان وتبليغ الدعوة وإزالة العقبات ، فأنزل الله سبحانه ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جُنْدُ الْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُنْسِ الْأَمِيرُ ۝ ﴾ [التوبة : ٧٣ ، والتحريم : ٩] وقوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُم عَلَىٰ يَحْزَقِ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [الصف : ١٠ - ١١] .

ومن الجدير بالذكر أن لفظ الجهاد أو القتال لا يذكر في القرآن الكريم إلا وهو مقرون بعبارة « في سبيل الله » ، ليدل على أن الغاية منه مقدسة نبيلة ، وهي إعلاء كلمة الله ، وليس السيطرة أو المغنم أو الاستعلاء في الأرض .

إن الجهاد والدفاع عن النفس حق أقرته جميع الشرائع السماوية على لسان جميع الأنبياء وهو وسيلة لردع الطغاة وإزاحة العقبات وتحقيق العدل كما أمر الله ، وليس غاية في حد ذاته ، إذ ليس القتل والتدمير والتحريق مطلبًا ، فيدفع الشر بالأخف إن أمكن ، فإن لم يكن فالجهاد مشروع والظلم فيه ممنوع . وقد جاهد موسى وهارون ويشوع بن نون وطالوت (شاول) وداود وسليمان عليه السلام جهادًا عادلاً رحيماً ^(١) . ثم جاء النبي الخاتم المنتظر بعدهم رحمة للعالمين حقًا ، ليس بفظ ولا غليظ ، يحب الحق ويكره الباطل ، يقيم العدل ويمنع الظلم ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، يتلطف بالمساكين ويعطف على الضعفاء ، بل يعفو عن أساء إليه ويحسن إلى الناس جميعًا حتى في أشد الحروب .

(١) غير أن أحبار اليهود ينسبون إلى الأنبياء في أسفارهم ، التي كتبوها ووضعوها في العهد القديم مجازر وجرائم حرب وفظائع إرهاب طالت أطفال أعدائهم وحيواناتهم ذبحًا وحرقًا ، وذلك ليبرروا قسوتهم المفرطة مع خصومهم ومكرهم بهم بوجه مشروع عندهم .

● عن كعب بن مالك عن عمه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث إلى ابن أبي الحقيق بخير نهى عن قتل النساء والصبيان ^(١) .

● وعن الأسود بن سريع رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقتلوا الذرية في الحرب » فقالوا : يا رسول الله ، أليس هم أولاد المشركين ؟ قال : « أليس خياركم أولاد المشركين » ^(٢) .

● وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فقال : « سيرو باسم الله وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدًا » ^(٣) .

● وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، لا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلًا صغيرًا ولا امرأة ، ولا تغلوا وضموا غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا ، إن الله يحب المحسنين » ^(٤) .

● وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال : « اخرجوا باسم الله تعالى ، تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا

(١) أخرجه أحمد . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجال أحمد رجال الصحيح . ا. هـ . وأخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث الزهري مرسلًا .
(٢) أخرجه أحمد . وقال في مجمع الزوائد : رجال أحمد رجال الصحيح .
(٣) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه .
(٤) أخرجه أبو داود . وفي إسناده خالد بن الفِزَر ، لكن يشهد له ما قبله .

ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع » (١) .

ثم سارت أمته من بعده على نهجه ، ولا سيما الخلفاء الراشدون ﷺ الذين أمرنا أن نقتدي بهم من بعده .

● عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر ﷺ بعث جيوشاً إلى الشام ، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان ، وكان يزيد أمير ربع من تلك الأرباع ، فقال : إني موصيك بعشر خلال : لا تقتل امرأة ولا صبيّاً ولا كبيراً هرمّاً ، ولا تقطع شجراً مشمراً ، ولا تخرب عامراً ، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا للمأكلة ، ولا تعقرن نخلاً ولا تحرقه ، ولا تغلن ولا تخبن (٢) .

● روى الطبري في التاريخ وابن الأثير في الكامل أن أبا بكر ﷺ قال لجيش أسامة ﷺ : يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للمأكلة ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له .

(١) أخرجه أحمد . وفي إسناده إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة وهو ضعيف ، ووثقه أحمد ، لكن له شواهد . وفي الباب نحوه عن علي ﷺ عند البيهقي .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ .

● وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه المجاهدين فقال :
لا تجنبوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا
عند الظهور ، ولا تقتلوا هرمًا ولا امرأة ولا ولدًا ، ونزهوا
الجهاد عن عَرَض الدنيا ، وأبشروا بالأرباح في البيع الذي
بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم .

أقوال منسوبة للمسيح ظاهرها العنف :

جاء في إنجيل متى (٣٤/١٠ - ٣٦) : لا تظنوا أنني
جئت لأحمل السلام إلى العالم ، ما جئت لأحمل سلامًا
بل سيفًا ، جئت لأفرق بين الابن وأبيه والبنت وأمها والكنة
وحماتها ، ويكون أعداء الإنسان أهل بيته .

وفي إنجيل لوقا (٤٩/١٢) : جئت لألقي نارا على
الأرض ، وكم أتمنى لو اشتعلت .

وفي (٥١/١٢ - ٥٣) : أتظنون أنني جئت لألقي
السلام على الأرض ؟ أقول لكم : لا بل الخلاف ، فمن
اليوم يكون في بيت واحد خمسة ، فيخالف ثلاثة منهم
اثنين ، واثنان ثلاثة ، ويخالف الأب ابنه ، والابن أباه ،
والأم بنتها ، والبنت أمها ، والحماة كتنها ، والكنة حماتها .

وفي (٣٥/٢٢ - ٣٦) : ثم قال لتلاميذه : عندما
أرسلتكم بلا مال ولا كيس ولا حذاء ، هل احتجتم إلى
شيء ؟ قالوا : لا ، فقال لهم : أما الآن فمن عنده مال

فليأخذه ، أو كيس فليحمله ، ومن لا سيف عنده فليبيع ثوبه وليشتر سيفاً .

وفي (٣٨/٢٢) : فقالوا : هو ذا هنا سيفان . فقال لهم : يكفي .

ونحن المسلمين لا نتسرع كما يتسرع غيرنا ونقول إن المسيح ﷺ يحب العنف ويدعو إلى الإرهاب ويأمر بقطيعة الرحم والإساءة إلى الأقارب ، وإنما نقول : لو ثبت نقل هذا الكلام عنه لكان يطلب إعداد العدة لدفع الظلم والدفاع عن النفس وحفظ العرض ، وإلا فقد الثوب والحياة وغير ذلك ، فهذا جهاد مشروع .

ونعتقد أيضاً أنه ﷺ دعا كسائر الأنبياء إلى صلة الرحم والإحسان إلى الأقارب وحض على إكرام الأبوين تماماً كما جاء في القرآن الكريم ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان : ١٥] وإنما أراد من ذلك الاختلاف في المعتقد ، فمن الناس من يؤمن برسالته ومنهم من لا يؤمن ، فعلى الإنسان أن يتبع الحق ويخلص في عقيدته وعبادته وإن خالف أقاربه في ذلك من غير أن يسيء إليهم ، بل عليه أن يتحملهم ، وهو ﷺ يعرف بني إسرائيل حق المعرفة .

لا إكراه في الدين

يزعم المغرضون أن محمدًا ﷺ أقام دينه بالقوة والإكراه ، ووضع السيف في يد أتباعه وقال للناس : أسلموا أو موتوا ، ويستدلون على ذلك بظاهر بعض الآيات التي تحض على الجهاد ، ويتناسون الحقائق والوقائع ، فهم يعلمون أن الجهاد لم يكن في يوم من الأيام لإكراه الناس على الدخول في الإسلام قسرًا ، ولم يحدث في عصر النبوة ولا في عصر الخلفاء الراشدين ولا فيما بعدهما أن خيّر المسلمون قبيلة غزوها أو أهل مدينة فتحوها بين الإسلام أو السيف البتة .

كان محمد ﷺ نبيًا مجاهدًا كما كان موسى وفاته وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء ﷺ ولم تكن الحرب عند أحدهم مطلوبة لذاتها أو للانتقام أو للإبادة أو الطرد والتصفية العرقية ، وإنما هي مشروعة لاستبعاد الفتنة والظلم وكسر شوكة المعتدين . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الأنفال : ٦١ - ٦٢] .

أصناف الناس في نظر الإسلام :

يقسم الناس من حيث الدخول في الإسلام وعدمه إلى الأصناف التالية :

١ - مسلمون ، وهم الذين اعتنقوا الإسلام والتزموا بمنهجه عقيدة وعبادة ونظامًا ، ينفذون مبادئه ويطبقون أحكامه ، ويحرصون على نشره والدعوة له في الآفاق ، فهؤلاء إخوة متحابون متضامنون ، وعليهم أن يتناصروا جميعًا إن وقع على بعضهم ظلم أو عدوان ، وإن وقع خلاف فيما بينهم ، فعليهم أن يسعوا إلى المصالحة ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

٢ - غير مسلمين ، وهم قسمان :

أ - مسلمون لا يقفون في طريق الدعوة ، ولا يمالئون خصومها ، ولا يضطهدون أهلها ، سواء كانوا ذميين أو معاهدين أو مستأمنين ، فهؤلاء لهم البر والوفاء والاحترام المتبادل ما داموا محافظين على العهد والود ؛ قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَكَهُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المنحة : ٨] .
وإذا رابنا منهم شيء فلا يجوز الغدر بهم ولا مباغتهم .
قال تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافُكَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْصِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ

سَوَاءٌ إِنْ أَمَرَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ [الأنفال: ٥٨] .

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يحلها حتى
ينقضي أمدها ، أو ينبذ إليهم على سواء ^(١) .

ب - محاربون شهروا السلاح في وجه الدعوة أو صدوا
عن دين الله ووقفوا أمام نور الإسلام حجابًا كثيفًا ،
أو استولوا على أرض المسلمين أو ظاهروا أعداءهم عليهم ،
فليس لهم إلا المنابذة والدفاع عن أرض المسلمين
وحقوقهم ، ويستحب الحوار والإنذار قبل اللجوء إلى
الحرب . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي
الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن
يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المتحنة : ٩] .

جوانب من جهاد المسلمين العادل الرحيم :

١ - فتح مكة :

هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة فارين بدينهم وبدنهم
تاركين دورهم وأموالهم ، وخرج النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه
من بين السيوف والقسى ، ونجيا بفضل الله من المطاردة ،
ووصلا إلى المدينة سالمين ، وما مضت بضع سنين حتى
مكن الله سبحانه نبيه ﷺ والمسلمين من فتح مكة ، فأعطى

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي .

لأهلها الأمان ، ثم دخلها راكبًا الناقة مطأطئًا رأسه تواضعًا لله حتى مست لحيته الرجل وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ثم جمع أهل مكة وقال لهم : « ما تظنون أنني فاعل بكم ؟ » قالوا : خيرًا ، أخ كريم وابن أخ كريم : فقال : « لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء » . لم يعف عنهم فحسب ، بل رفض أن يوقع اللوم عليهم رغم ما فعلوه به وبأصحابه من ظلم واضطهاد ، ولذلك سموا الطلقاء .

ومن الغريب العجيب أن بعض المغرضين يذكر في كتاباته أن الطلقاء هم أهل مكة الذين دخلوا في الإسلام كرها . مع أن هذا لم يحصل البتة ، فلم يكره أحدًا منهم على الدخول في الإسلام ، وإلا لَشُمُوا المكْرهين أو الحبساء لا الطلقاء ، غير أنهم دخلوا بعد ذلك في دين الله أفواجًا بعد تفكير حرٍّ واقتناع .

٢ - الفتح الأول للقدس :

استولى الروم على بلاد الشام وبيت المقدس وحكموها مدة تزيد على ثلاثمئة عام ، ثم كان بين المسلمين والروم ما كان من حروب في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم إلى أن تم فتح بلاد الشام واستخلاصها من أيدي الروم ، وفي أثناء حصار مدينة القدس طلب أهلها الصلح ، واشتروطوا أن يكون بحضور خليفة المسلمين ، فحضر

عمر عليه السلام بنفسه عام ١٦هـ تلبية لرغبتهم ، فخرجوا لاستقباله ، وعلى رأسهم البطريك صفرنيوس ، فأحاطه عمر عليه السلام بعنايته ، ثم أبرم معهم معاهدة الصلح ، وكتب لهم وثيقة الأمان المعروفة بالعهد العُمري ، واشترط البطريك في عقد التسليم ألا يدخل المدينة أحد من اليهود ، فأجابه عمر عليه السلام إلى طلبه ، وكتب له الوثيقة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، وأنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صُلبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويؤخلي بيعهم وصُلبهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار

مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الجزية . وشهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الوثيقة لا زالت محفوظة في كنيسة القيامة ، وقد نشرت بعض المجلات صورتها ، ومنها مجلة العربي الكويتية في شهر كانون الثاني عام ٢٠٠٣ م . دخل عمر ؓ كنيسة القيامة مع البطريرك ، وحن وقت الصلاة ، فقال عمر ؓ أين نصلي ؟ قال البطريرك : مكانك فصل . فقال عمر ؓ : لا ، أخشى أن يأتي المسلمون من بعدي فيحولون الكنيسة إلى مسجد ويقولون : مكان صلى فيه عمر . ثم خرج فصلى بعيداً عن الكنيسة .

ألا فنظرة إنصاف إلى التاريخ ، من كان يمنع عمر ؓ وغيره ممن أتى بعده من هدم تلك الكنائس لو أرادوا هدمها ؟ فقد تحطمت إمبراطورية الفرس وتلاشت ، وذُحر الروم واختفى أثرهم ، إن بقاء تلك الكنائس وسائر الكنائس القديمة في بلاد الشام إلى اليوم شاهد على عدالة المسلمين ورحمتهم ، وعدم إكراه أحد من اليهود أو النصارى على إدخالهم في دينهم قسراً ، بل عاش اليهود والنصارى بين المسلمين آمنين مطمئنين ، فهل عاش المسلمون بين اليهود

والنصارى آمنين مطمئنين سابقاً إبان الحروب الصليبية ،
ولاحقاً إبان الاستعمار ، وفي أيامنا في فلسطين المحتلة ؟
لقد وجد أهل القدس وغيرهم بعد الفتح من المسلمين
صدقاً ووفاء وعدلاً نابغاً من تدين قلبي ، لا دعوة سياسية ،
فشرعوا يدخلون في دين الله أفواجاً .

٣ - الفتح الثاني للقدس :

شتان بين فتح المسلمين الأندلس وإقامتهم الحضارة فيها
وبين دخول الصليبيين بلاد الشام وتدميرهم المدن وارتكابهم
المجازر ، وشتان بين احتلالهم القدس وذبح سكانها صغاراً
وكباراً بعد إعطائهم الأمان ، وبين فتحها بعد تسعين عاماً
ودخول صلاح الدين الأيوبي فيها ، عمد الصليبيون إلى نهج
التطهير العرقي ، فسالت الشوارع بدماء المسلمين كأيام
الأمطار ، ثم احتفلوا بخرمهم ورقصهم على جثث
المسلمين ، أما صلاح الدين رحمته الله فقد أعطى لأحفاد المحتلين
الجزارين الأمان ، ثم دخلها وعيناه تدمعان ، فهدأ من
روعهم ، ثم طلب منهم العودة إلى بلادهم ، فذهبوا بأموالهم
وذرياتهم ، ومن لم يستطع الرجوع وهو يرغب فيه أعانه
عليه ، ورحب بمن اختار أن يقيم بين المسلمين ، ثم أعطاهم
أماناً وعاهدهم ، فسكنوا في أماكن معروفة في بلاد الشام ،
شكّلوا فيها مدناً وقرى ، لا زال أحفادهم يقيمون فيها إلى
اليوم ، ولا زال التاريخ الأوربي يشيد بصلاح الدين إلى اليوم .

وثائق تاريخية عن فظائع الحروب الصليبية :

● روى ابن الأثير في تاريخه عن دخول الصليبيين إلى القدس فقال ^(١) : دخل الفرنج القدس نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان ، وركب الناس السيف ، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين ، واحتفى جماعة من المسلمين بمحارب داود فاعتصموا به ، وقتلوا فيه ثلاثة أيام ، وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً ، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف .

● ووصف ستيفن رنسيمنان في كتابه تاريخ الحروب الصليبية ما حدث في القدس يوم دخلها الصليبيون فقال ^(٢) : وفي الصباح الباكر من اليوم التالي اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين فأجهزت على جميع اللاجئين إليه ، وحينما توجه قائد القوة (ريموند أجيل) في الضحى لزيارة ساحة المعبد أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه ، وتركت مذبحه بيت المقدس أثراً عميقاً في جميع العالم ، وليس معروفاً بالضبط عدد ضحاياها ، غير أنها أدت إلى خلو المدينة من سكانها المسلمين واليهود ، بل إن كثيراً من المسيحيين اشتد جزعهم لما حدث .

(١) انظر الكامل (١٨٩/٨ - ١٩٠) .

(٢) انظر (٤٠٤/١ - ٤٠٦) .

وقد وصف كثير من المؤرخين أحداث المذبحة التي حدثت في القدس يوم دخول الصليبيين إليها ، وكيف كانوا يزهون بأنفسهم ، لأن ركب خيولهم كانت تخوض في دماء المسلمين التي سالت في الشوارع ، وكان من وسائل الترفيه لدى الصليبيين أن يشووا أطفال المسلمين كما تشوى النعاج . ويذكر الكثيرون ما فعله ريتشار قلب الأسد في الحملة الصليبية الثالثة عند احتلاله عكا بأسرى المسلمين ، فقد ذبح (٢٧٠٠) أسير من المسلمين الذين كانوا في حامية عكا ، ثم لقيت زوجات وأطفال الأسرى مصرعهم إلى جوارهم .

● ذكر المؤرخ والمفكر الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه الحضارة العربية روايات عن رهبان ومؤرخين رافقوا الحملة الصليبية ، ورأوا ما حدث حين دخولهم القدس ^(١) . ومنها ما يلي :

قال الراهب روبرت ، وهو شاهد عيان لما حدث في بيت المقدس : كان قوما يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل ، كاللبؤات التي خطفت صغارها ، كانوا يذبحون الأولاد والشباب ويقطعونهم إربًا إربًا ، وكانوا يشنقون أناسًا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة ، وكان قوما يقبضون كل شيء

(١) انظر (ص ٣٢٥ - ٣٢٧ و ٣٩٦) .

يجدونه ، فيبقرون بطون الموتى ، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجلث .

وقال كاهن أبوس ريموند داجيميل : حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها ، فقد قطعت رؤوس بعضهم ، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم ، وبقرت بطون بعضهم ، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار ، وأحرق بعضهم في النار ، فكان ذلك بعد عذاب طويل ، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم ، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم ، ولكن لم يكن كل هذا سوى بعض ما نالوا .

ووصف مذبحة مسجد عمر فقال : أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان ، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك ، وكانت الأيدي المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها ، فكم اتصلت ذراع بجسم لم يُعرف أصلها . ولم يكتف الفرسان الصليبيون بذلك ، ففقدوا مؤتمراً أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود وخوارج النصارى الذين كان عددهم ستين ألفاً ، فأفنوهم عن بكرة أبيهم في ثمانية أيام ، ولم يستبقوا منهم امرأة ولا ولدًا ولا شيخًا .

وقال أيضًا : وعمل الصليبيون مثل ذلك في مدن

المسلمين التي اجتاحتها ، ففي المعرة قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين اللاجئين في الجوامع والمختبئين في السرايب ، فأهلكوا صبراً ما يزيد على مئة ألف إنسان في أكثر الروايات ، وكانت المعرة من أعظم مدن الشام بعدد السكان بعد أن فر إليها الناس بعد سقوط أنطاكية وغيرها بيد الصليبيين .

هذا غيض من فيض مما فعله الصليبيون خلال الحروب الصليبية الطويلة الأمد ، فهل كان هذا تطبيقاً لما يروونه في إنجيل متى (٣٩/٥ - ٤١) : لا تنتقموا ممن يسيء إليكم ، من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، ومن أراد أن يخاصمك ليأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضاً . وفي لوقا (٢٧/٦ - ٣٠) : أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى مبغضيك وباركوا لاعدائكم ، وصلوا لأجل المسيئين إليكم ، من ضربك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، ومن أخذ رداءك فلا تمنع عنه ثوبك .

وصفوة القول : هذا هو النبي محمد ﷺ وهؤلاء هم أصحابه ﷺ وهذه هي أمته ، ولو قابل منصف بموضوعية وتجرد سيرة محمد ﷺ بسيرة سائر الأنبياء فلن يجد فضيلة تمثلت في أحدهم إلا وهي في شخصيته أتم وأكمل ، ولن يرى غضاظة نسبت إلى أحدهم إلا وهو نقي منها ، ويزيد عليهم جميعاً أنه بنى بفضل الله تعالى من تلك القبائل

التائهة المتناحرة أمة أنبتت الحضارات المادية والأخلاقية بجميع وجوهها دون أن يكون لها مطمع سوى نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله ، ثم توفير العدالة والأمن لكل نفس خلقها الله من إنسان أو حيوان ، والتاريخ شاهد على ذلك في الحرب والسلام ، مما دفع المفكر الفرنسي غوستاف لوبون أن يقول كلمته المشهورة : « ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من المسلمين » .

تنبيه : إذا قدر الله وتمكن المسلمون من أوربة ، وأراد أحفاد الصليبيون أن يعيشوا المسلمين بذمة أو معاهدة ، فلا يجوز الانتقام منهم أو مسهم بسوء ، ويعاملون كما عامل النبي ﷺ أهل مكة ، وكما عامل صلاح الدين الصليبيين بعد فتح القدس ، وإنما يقتل من كان منهم مجرم حرب أو غادرًا ناكث عهد ، لأن الإسلام يأمر بذلك ، وليس المسلمون الحقيقيون كغيرهم من الناس ، والتاريخ شاهد .

* * *

الإسلام والبشرية أمحارة

القسم الثاني

تعريف موجز بدين الإسلام

- ويحتوي على الفصلين التاليين :
- خصائص الدين الإسلامي وأركانه .
 - النظم التشريعية وخصائصها .

الإسلام والبشرية أمحارة

الفصل الأول

خصائص الدين الإسلامي وأركانه

- ويحتوي على الفروع التالية :
- خصائص الدين الإسلامي .
 - العقائد .
 - العبادة ومكارم الأخلاق .

خصائص الدين الإسلامي

تعريفه :

هو المنهاج الشامل المتكامل الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ إلى العالمين ، ورضيه لهم ديناً ، مما يتعلق بالعقيدة لتحرير العقل البشري أو بالعبادة الروحية والأخلاق لتحرير الإنسان من الزيف والأهواء والشهوات ، أو بالأنظمة التشريعية لإصلاح الأسرة والمجتمع وتحرير الأمم من الفوضى ، تتعاون روافده على تكوين الشخصية الإنسانية المثالية ، وعلى صنع المجتمع الفاضل ، وعلى إقامة معالم الحق والعدل والحرية والمساواة في فجاج الأرض وبين جنبات الحياة ، وهو متضمن جميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة ، ما من خير إلا دعا إليه وأمر به ، وما من شر إلا حذر منه ونهى عنه ، فهو متميز بكونه صالحاً ومصلحاً لكل زمان ومكان وأمة ، ختم الله به الأديان وأتم به النعمة . قال تعالى : ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

وليس هذا ادعاءً أو تقولاً ، بل قد طبقت مبادئه عملياً

ونفذت أحكامه خلال فترة طويلة من الزمن ، فأظهر للتاريخ البشري النماذج العملية العالمية في شتى ميادين الفضيلة والأخلاق .

خصائصه :

يصور المفروضون للناس أن دين الإسلام جامد لا يساعد على التقدم ، بل يجعل أتباعه غير مؤهلين للتكيف مع منجزات العصر الحديث ، ويعززون تخلف المسلمين الحالي إلى دينهم ، مع أن كثيرًا من المسلمين في عصرنا لا يمثلون الإسلام حق التمثيل ، أو لا يفهمونه حق الفهم ، أضف إلى ذلك تشويه الصورة المتعمد والمتنوع الذي تقوم به أجهزة الإعلام المفرضة ، وخلو الساحة من دعاة متمكنين تتاح لهم فرص وأجهزة إعلام قوية ليزيلوا الغبار المتراكم ، ويظهروا النصاعة ، وسوف يتضح هذا من خلال استعراض خصائصه ، وأهمها ما يلي :

١ - عالميته : فهو ذو صبغة إنسانية ، وقد دلت الآيات القرآنية على أن رسالة محمد ﷺ عامة للناس كلهم ، وهذه الخصيصة لم تكن لغيره من الرسالات السماوية ، بل كان كل نبي يرسل إلى قومه خاصة .

٢ - شموله : فلم يعالج الإسلام في حياة الإنسان جانبًا دون جانب ، ولم ينظم ناحية دون أخرى ، بل جاء شاملاً كل ما يحتاجه من عقيدة وعبادة وأخلاق وتشريع في

الأحوال الشخصية وتنظيم الأسرة ، وفي الأمور المدنية والمعاملات المالية ، وفي الجنايات وعقوباتها ، وفي قواعد الاقتصاد وركائز المجتمع ، وفي السياسة وأسس الحكم ، وفي العلاقات الدولية والميادين العسكرية ، وفي غير ذلك مما يحتاجه الإنسان ويواجهه في حياته وتعامله مع الآخرين ، وفيما يتفرع من ذلك كله ، فهو نظام شامل كل شؤون الحياة ، كامل متكامل .

٣ - دين الفطرة : فمن أمعن النظر في المبادئ والنظم التي جاء بها الإسلام وجده يتطابق تطابقاً تاماً مع طبيعة الإنسان ، ويتلاءم مع فطرته ، ويلبي حاجاته ورغباته وميوله الروحية والعقلية والجسمية دون شطط أو تكلف :

● فقد دعا إلى توحيد الله والبعد عن الشرك والوثنية بأي شكل من الأشكال .

● ونظم حالات الإنسان وأقام التوازن بين مطالب العقل والروح والجسم وسائر الماديات ، فشرع عبادات تزكي النفس وتغذي الروح ، وأمر بالعناية بالجسم وحرم كل ما يؤذيه ، وهياً للفرد مجالات الانتفاع بنعم الله ، وطلب منه أن يلم بجوانب المعرفة .

● ودعا إلى الزواج الشريف والإنجاب الأصيل والبعد عن الرهينة وكبت النفس .

- وأمر بالأخلاق الكريمة كالصدق والأمانة والنصح والاستقامة وحفظ العهد والوفاء بالوعد حتى مع الأعداء .
- أباح الطيبات وحرم الخبائث والمؤذيات في المأكل والمشرب وغيرهما .
- دعا إلى طيب الكسب وإباجة التملك والبعد عن الغش والظلم .
- أعطى الحرية في حدود معقولة لا ينشأ عنها عدوان أو ظلم ، وأقر مبدأ الدفاع عن النفس ومسؤولية الإنسان عما يعمل .

منزلة العقل في الإسلام :

إن كتاب الله الكريم وسنة نبيه ﷺ هما أساس العقائد والعبادات الإسلامية وجميع الأحكام الشرعية ، وهذه العقائد والأحكام يؤيدها العقل السليم ، ويثبتها النظر الصحيح ، فالأنبياء لا تأتي بما تحيله العقول ، وربما تأتي بما تحار فيه ، وتدعوها إلى النظر والتفكر ، ولهذا جعل الله العقل مناط التكليف والقيام بالواجبات الشرعية ، فمن لم يكن عاقلًا كالمعتوه والمجنون ، أو لم يكن راشدًا كامل العقل كالصغير ليس أهلاً للتكليف ولا محلًا له .

والإسلام لم يحجر على الأفكار ، ولم يحبس العقول ، وإنما أرشدها إلى التزام حدها ، وبين لها ضالة معرفتها ، قال

تعالى : ﴿ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]
وحثها على البحث والنظر والاستزادة ، ويظهر ذلك من
النواحي التالية :

١ - أمر بإعمال العقل وحث على العلم فقال تعالى :
﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] .

٢ - طلب من الإنسان أن يفكر منفردًا ومع غيره ،
ليكون إيمانه مبنياً على التفكير السليم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ
إِنَّمَا أُعِطْتُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُّشْرِبِينَ فَارْتَدَّيْتُمْ ثُمَّ تُنْفِرُوا
مِنَهَا يَوْمَ الْقِيَامِ وَكُنْتُمْ تُخْلَفُونَ ۚ بَلْ لَّعَنَ اللَّهُ الْمُفْرِسِينَ ۚ ﴾ [سبا: ٤٦] .

٣ - طلب منه أن يتفكر في الكون ، قال تعالى :
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وقال سبحانه :
﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١] .

٤ - ذم التقليد الأعمى الموروث من غير وعي ولا
تفكير ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا
بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوا كَانُوا عَابِكَاؤُهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠-١٧١] .

٥ - نهى عن الاستسلام لكل ما يطرح من أفكار وعن

الاتباع بغير دليل أو برهان ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣١] .

أقسام العلوم الدينية :

تقسم العلوم الدينية إلى قسمين ، علم عقائد وعلم أعمال :

فعلم العقائد يشمل الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، ويمكن أن يشمل أيضًا أركان الإسلام ، إذ لا بد من الإيمان بها جميعًا قبل العمل .

وعلم الأعمال هو علم التكاليف المتعلقة بالظاهر والباطن ، ومنها العبادات والأخلاق والمعاملات التي تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض وسائر الفروع التشريعية .

* * *

العقائد

تعريف العقيدة :

العقيدة ما انعقد عليه القلب من المبادئ والقيم ، واستقر في النفس فأصبح جزءاً منها ، يتعذر تحويله عنها .

أثرها في الحياة :

تنعكس العقيدة على تصرفات الإنسان بأنواعها إيجاباً أو سلباً ، وهي تحدد في كل أمة الطريق الذي تنبثق عنه حضارتها ونظامها الاجتماعي ، ومن ثم تظهر أهمية العقيدة الإسلامية في حياة الإنسان ، فبمقدار ما تكون صحيحة الفهم سليمة التطبيق يحصل العدل والسعادة في المجتمع . وتتألف العقيدة الإسلامية من أركان لا بد من تحقيقها جميعاً ليكون الإيمان صحيحاً ، ألا وهي أركان الإسلام وأركان الإيمان .

أ - أركان الإيمان

الإيمان هو تصديق بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، مبدؤه التصديق

القلبي الجازم ، وأركانه ستة :

١ - الإيمان بالله تعالى ربًا واحدًا لا معبود بحق سواه :

وهو واحد في ذاته وفي أسمائه وصفاته ، لا شريك له في ألوهيته ولا في ربوبيته ، متصف بكل كمال منزه عن أي نقصان ، بل يستحيل عليه أن يتصف بصفة نقص أو إخلال بجلاله ، فلا ينام ولا يتعب لكمال حياته وقوته ، ولا يندم لأنه علام الغيوب ، ولا يغفل عن أعمال عباده ، ولا يظلم أحدًا منهم لكمال رقايته وإحاطته وعدله ، وهو على كل شيء قدير .

ومن ثمرات الإيمان بالله التعظيم والطاعة والمحبة والاستقامة .

٢ - الإيمان بالملائكة :

الملائكة مخلوقات مطهرة ، خلقهم الله تعالى من نور ، ومنحهم الانقياد التام لأوامره والقدرة على تنفيذها ، فقاموا بعبادته وانقادوا لطاعته ، قال تعالى عنهم : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ ﴿ لَا يَسْخَرُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٥ - ٢٧] وقال أيضًا ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم: ٦] .

عددهم كبير لا يحصيهم إلا الله ، وقد حجبهم عنا فلا نراهم .

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة العلم بعظمة الخالق وقدرته .

٣ - الإيمان بالكتب :

أنزل الله سبحانه على بعض رسله كتباً فيها مناهج توصل البشر إلى مرضاة الله تعالى وإلى السعادة في الدنيا والآخرة ، فيها أوامره ونواهيه وحلاله وحرامه ومواعظه وزواجره ووعدته ووعيدته ، فهي حجة على العالمين ، ومحجة للعاملين .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

ومن ثمرات الإيمان بالكتب العلم برحمة الله بعباده وعنايته بهم بتعليمهم حكمته وتشريعه . ونعلم من الكتب ما يلي :

أ - التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام وهي أعظم كتب بني إسرائيل .

ب - الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام وهو مصدق للتوراة ومتمم لها .

ج - الزبور الذي آتاه الله داود عليه السلام وفيه حكم ومواعظ .

د - صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام .

هـ - القرآن الكريم ، وقد أنزله الله سبحانه على خاتم النبيين ، فهو خاتم الكتب ولا ناسخ له . قال تعالى :

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة : ٤٨] .

وقال سبحانه : ﴿الَمْ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران : ١ - ٤] .

والكتب السابقة كلها مؤقتة بأمر ينتهي بنزول ما ينسخها ويظهر ما اعتراها من تغيير وتحريف ، والمعول عليه في قبولها توثيق نقلها ، أما القرآن الكريم فهو الكتاب الوحيد الذي نقل إلينا بلغته الأصلية من فم النبي ﷺ نقلاً متواتراً حتى في مخارج حروفه وحدوده وصفة قراءته ، وقد تم نقله بطريقتين : الأولى : التلقي من فم النبي ﷺ مباشرة وحفظه على سبيل التواتر ، ثم تبليغه للناس .

الثانية : الكتابة بين يدي النبي ﷺ فقد كان له كتبة للوحي يبادرون إلى كتابة ما نزل عليه حين نزوله .

وهكذا نقل إلينا متواتراً حفظاً في الصدور وكتابة في السطور منذ نزوله أولاً بأول في زمن النبي ﷺ ولذلك سلم بلغته الأصلية من التحريف أو التبديل أو الزيادة أو النقصان ،

فهو هو من الفم الطهور . بخلاف أسفار الكتاب المقدس بعهديه ، فإنها لم تنل حظها من التوثيق البتة .

أما التوراة فقد كانت في التابوت الذي استولى عليه الفلسطينيون كما في سفر صموئيل الأول (١٠/٤ - ١١) ، ثم عاد التابوت بعد سبعة أشهر بطريقة عجيبة كما في الفصل الخامس والسادس من السفر نفسه ، غير أن السفر لم يتعرض لما في داخل التابوت . وإبان حكم الملوك ورث سليمان داود عليه السلام وبقي الهيكل ، وهياً في وسطه مكاناً للتابوت ، ووضع التابوت في المكان المعد له ، ثم فُتح وكانت المفاجأة ، ليس فيه سوى لوح الحجر كما في سفر الملوك الأول (١/٨ - ١١) ، وهكذا فقدت التوراة في ظروف غامضة . ومما لا ريب فيه أن التوراة التي بين يدي أهل الكتاب اليوم ليست هي التي أنزلها الله على موسى عليه السلام قطعاً ، فإبان السبي الذي استمر سبعين عاماً قام علماءهم بجمع أسفار التوراة وغيرها من الروايات الشفوية ، والاعتقاد السائد عند أهل الكتاب أن عزرا هو الذي لفق ونظم ما جمع من أسفار التوراة إبان السبي وبعده ، غير أن الدلائل تشير إلى أنها كتبت في مراحل متباعدة ، ثم ألحق بها أسفار خُلفها كتاب مجهولون عالجوها على سجيتهم ، وبحسب الظروف التي عاشوها . ومن المقطوع به أن ما جمعه ورتبه ضاع في حادثة تيطس بعد أن أضرم النار في الهيكل وسلب ما فيه ، ثم طفق يتتبع اليهود .

وأما الإنجيل فالنصارى يرون أن المسيح عليه السلام لم تكن له رسالة مكتوبة ، فلم يكتب ، ولم يأمر بالكتابة ، وإنما علم تلاميذه المختارين شفويًا بلغتهم السائدة ، وكان يلقي عليهم ذلك بحسب المناسبات والحوادث ، وبعد رفع المسيح عليه السلام تفرق أصحابه في أقطار الأرض يدعون إلى دينه ، وفي أذهانهم أثارة من أقواله وتعاليمه ، وقد نزل بأتباع المسيح عليه السلام بلايا وكوارث جعلتهم يستخفون بدينهم ، وهم يذكرون أنه في وسط تلك النكبات دونت الأناجيل المتعددة حتى أصبح لكل منطقة إنجيلها الخاص ، وبعد أن أفاق النصارى من الاضطهادات التي توالى عليهم هالهم أمر تلك الكتابات ، ثم انعقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ، وجاءت الطوائف المختلفة ومعها عشرات الأناجيل ومئات الرسائل ، وكل يدعي أن ما معه هو الصحيح ، وليس في اختلافهم ما يزيل الشك بل ما يقويه ، لعدم الأسانيد واشتد الخلاف ، ثم مال الإمبراطور قسطنطين وكان وثنيًا وقتذاك إلى رأي الأقلية المنادية بالتثليث ٣١٨/٢٠٤٨ لاستقرار فكرة تعدد الآلهة في رأسه ، فسلطهم على غيرهم ، فباركوه ووضعوا أربعين كتابًا في السنن والشرائع واختاروا ما لا يتعارض مع نزعتهم من الكتب والرسائل ما شكل منه فيما بعد العهد الجديد .

ميزان التوثيق :

وضع العلماء والباحثون شروطاً وقواعد للتسليم بالكتاب السماوي ، أهمها ما يلي :

أ - أن يكون الذي ينسب إليه الكتاب قد ثبتت نبوته وغلم صدقه بدلائل النبوة المعروفة .

ب - أن يذكر ذلك النبي بصراحة أن الله أوحى إليه به ، ويثبت ذلك بالدليل التام عنه .

ج - أن يكون الكتاب المنسوب إلى النبي وصل بالطريق القطعي ، وأساس ذلك التواتر ، وهو أن ينقله جمع عن جمع جيلاً بعد جيل بحيث يستحيل أن يتواطؤوا على الكذب . أو على الأقل بالأسانيد الصحيحة المتصلة المشهورة إن لم يكن التواتر ^(١) .

وقد انفرد القرآن الكريم من بين الكتب التي سبقته بتوثيقه توثيقاً متواتراً مكيناً وصل إلى الذروة حتى في نقل طريقة قراءته بلغته الأصلية ، وحفظه بقراءاته فرض كفاية في الأمة ، ويستحب لكل مسلم أن يحفظه غيباً أو يكثر من حفظ سورة ، وهذا هو سر خلوده وأحد مفاتيح إعجازه . أما العهد القديم فقد جمعت أسفاره من الروايات الشفوية دون سند يوثقها ولا تمحيص يهذبها ، ومما لا ريب

(١) إظهار الحق (٦/١) ، محاضرات في النصرانية (ص ٩٣ - ٩٤) .

فيه أن التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب ليست هي التي أنزلها الله على موسى عليه السلام والتي فيها هدى ونور .

وأما العهد الجديد فلاريب أن الاضطهاد الذي قارن المسيحية في نشأتها وفي بداءة تدوين كتبها جعل كل عمل يقومون به سرًا ، والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما يحكى عما يحدث فيها .

وصفوة القول : إن أسفار الكتاب المقدس بعهديه لا يُعرف متى كتبت ولا أين كتبت ولا من كتبها ولا بأي لغة كتبت على وجه اليقين ، بالإضافة إلى عدم العلم التام بالمرجم الحقيقي لما ترجم منها ومبلغ أمانته وحرصه ، وقد ظهر فيها الاضطراب والاختلاف الكثير بين النسخ المتعددة مع مخالفتها للحقائق والوقائع بسبب ما اعتراها من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان خلال تلك الفترات الزمنية ، ولذلك لم تسلم من النقد الشديد حتى من علماء أهل الكتاب أنفسهم ، وسلمت به بعض المجامع المسكونية ، فقد بحث المجمع المسكوني الثاني للكاتيكانيين المنعقد بين عامي ١٩٦٢م - ١٩٦٥م المشكلة التي تتعلق بوجود أخطاء في نصوص العهد القديم ، وبعد ثلاث سنوات من الجدل تم قبول صيغة حظيت بأغلبية ٦/٢٣٤٤ جاء فيها أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان ^(١) .

(١) دراسة لموريس بوكاي (ص ٢٦ و ٥٣ و ٥٩ - ٦٣) .

وقد أنزل الله ﷻ آيات كثيرة في القرآن الكريم تصرح بوقوع التحريف والتبديل في تلك الكتب ، وتلقي باللوم على علماء أهل الكتاب ، وتنبه المسلمين إلى أن ما أنزل على الأنبياء سابقاً كان فيه هدى ونور قبل أن يضيع .

٤ - الإيمان بالرسول :

الرسول رجال اصطفاهم الله تعالى من خيرة النوع الإنساني ، فنبأهم وأرسلهم إلى الناس ليكونوا وسطاء بينه وبينهم ، يبلغونهم عنه ما شاء من العقائد والعبادات والأحكام وغير ذلك ، وييسرون من آمن بحسن الثواب ، وينذرون من كفر بويل العقاب ، ويرشدونهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وهم جميعاً عباد لله تعالى .

قال تعالى : ﴿ يَبْنَىٰ ۤءَادَمَ ۖ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ۖ إِنِّي فَمَنْ أَتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٥] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۚ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وهم كثيرون جداً ، إذ كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، تمهيداً وتبشيراً بخاتم النبيين محمد ﷺ الذي سيبعثه الله إلى الناس كافة ويختتم به الرسالات ، فلا نبي بعده قال تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ

نَقَضُصُهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ
وَمُنْذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ [النساء: ١٦٤ - ١٦٥] .

وقال سبحانه : ﴿١٦٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ
مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ
لِرُسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿١٦٥﴾ [غافر: ٧٨] .

وهم جميعًا متحدون في الأسس والأصول والأهداف ،
وإن اختلفوا في الفروع ، فلكل منهم شريعة ومنهاج يناسبان
ظرفه وقومه . والمسلمون يؤمنون بهم عامة ، ولاسيما من ذكر
منهم في القرآن الكريم أو جاءت السنة صحيحة السند بذكره .

قال تعالى : ﴿١٦٤﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى
وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ
وَنَحْنُ لَكُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٦٥﴾ [البقرة: ١٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿١٦٤﴾ ءَامَنَ الرُّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ ﴿١٦٥﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

ومن ثمرات الإيمان بالرسول العلم برحمة الله عباده
وعنايته بهم وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم وقطع حجة
الكافرين يوم القيامة .

٥ - الإيمان باليوم الآخر :

وهو يوم القيامة الذي لا يوم بعده ، حيث يُبعث الناس من قبورهم أحياء بأجسادهم وأرواحهم ، ليحاسبوا على ما عملوا في الدنيا ، والناس بعد ذلك فريق في الجنة وفريق في السعير . ويتضمن الإيمان باليوم الآخر كل ما يجري لنا بعد الموت مما أخبرنا الله تعالى عنه بوساطة كتبه ورسله ، هي ثلاثة أمور :

أ - الإيمان بفتنة القبر وسؤال الملكين ، ثم نعيم القبر أو عذابه .

ب - الإيمان بالبعث يوم القيامة والحساب والجزاء .

ج - الإيمان بالجنة والنار ، فهما مآل الخلائق .

ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر الشعور بالمسؤولية ، وينتج عن ذلك الحرص على طاعة الله والرغبة في الثواب والرغبة من الإتيان بمعصية .

ومن ثمراته أيضًا مواساة المؤمن فيما يفوته من نعيم الدنيا مما طلبه أو لم يطلبه ، فما لم يأخذ جزاءه في الدنيا ، فهناك يوم آخر يعوضه الله فيه عما فاتة .

٦ - الإيمان بالقدر خيره وشره :

وهو تقدير الله تعالى للكائنات في الأزل حسبما سبق علمه واقتضته حكمته بأنها سوف تقع في أزمنة وأمكنة

محددة معلومة عنده ، وهي سوف تقع على ما قدره سبحانه ، فيعتقد المسلم أن إرادة الله الأزلية متعلقة بالأشياء وفق ما ستوجد عليه في المستقبل ، وعندما توجد تقع على وفق ما تعلق به الإرادة .

قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١] .
ويتضمن الإيمان بالقضاء والقدر أربعة أمور :

أ - الإيمان بأن الله تعالى عليم بكل شيء جملة وتفصيلاً أزلاً وأبداً ، ما كان وما يكون ، وكيف يكون ، فلا يتجدد له علم ، ولا يلحقه نسيان بعد علم .

ب - الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠] .

ج - الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون ولا تتصرف إلا بمشيئته . قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الإنسان: ٣٠] .

د - الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها وصفاتها وحركاتها . قال تعالى : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢] .

تنبيه : الإيمان بالقضاء والقدر لا ينافي مشيئة العبد في أفعاله الاختيارية وقدرته عليها ومسؤوليته عنها ، فقد منح الله العبد اختياراً وقدره يكون بهما مسؤولاً عن فعله . فلا حجة لمن يترك الواجبات أو يفعل المعاصي أو يتقاعس عن العمل والطلب ، لأنه يقدم باختياره على ما يريد دون أن يعلم ما قدره الله في علمه عليه إلا بعد الوقوع .

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر ما يلي :

- الاعتماد على الله عند الأخذ بالأسباب ، لأن السبب والمسبب بقضائه وقدره .

- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد ، والاعتراف بنعمة الله ، وزيادة الثقة به .

- الصبر والاحتساب وطرده القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه والرضا بما قدر الله .

قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿ [الحديد : ٢٢ - ٢٣] .

ب - أركان الإسلام

تلك هي أركان الإيمان ، قال تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿ [النساء : ١٣٦] وسيلها التصديق القلبي الجازم ليكون الإنسان مؤمنًا ، فما الأركان التي يجب على الإنسان أن يقوم بها ليكون مسلمًا أيضًا ويتحلى بالإيمان والإسلام معًا ؟ لقد أخبرنا النبي ﷺ عنها وعلمنا إياها فقال : « بني الإسلام على خمس » ثم عددها ، وهي ما يلي :

١ - شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله :

فبعد التصديق بالجنان يأتي النطق باللسان ليعبر عنه مقروًا ومعترفًا أن لا إله معبود بحق إلا الله ، فهو توحيد خالص من أية شائبة من شوائب الشرك بجميع أشكاله ، وهو أيضًا إقرار بنبوة محمد ﷺ ورسالته .

ومن ثمرات هذه الشهادة تحرير القلب والنفس من الرق للمخلوقات ، واتباع هدي محمد ﷺ والعمل به .

٢ - إقام الصلاة :

وهي أقوال وأفعال مفتحة بالتكبير مختمة بالتسليم بشرائط وصفات مخصوصة ، يقف فيها المسلم بعد أن يتوضأ خاشعًا بين يدي ربه ، فيقرأ بفاتحة القرآن وبما تيسر له منه ، ثم يسبح ربه في ركوعه وسجوده ، ويناجيه بدعائه . وهن خمس صلوات فرضهن الله علينا في اليوم واللييلة ،

وعلمنا شروطها وأركانها وسائر صفاتها رسول الله ﷺ فلا يجب على المسلم غيرهن إلا أن يتطوع .

ومن ثمراتها اطمئنان القلب وانسراح النفس والبعد عن الفحشاء والمنكر .

٣ - إيتاء الزكاة :

وهي فريضة مالية فرضها الله تعالى على أغنياء المسلمين في كل سنة مرة لسد حاجة الفقراء والمساكين ، ليست تفضلاً ولا إحساناً من شخص لآخر ، وإنما هي حق في المال معلوم ، له مصارف محددة ، لا منة فيه لأحد على أحد .

قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

٤ - صوم رمضان :

وهو عبادة تؤدي بالامتناع عن الطعام والشراب والجماع نهاراً كاملاً من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس في شهر واحد من السنة القمرية اختاره الله تعالى ، ألا وهو شهر رمضان المبارك .

٥ - الحج :

وهو رحلة كريمة يقوم بها المسلم مرة واحدة في عمره إلى البلد الأمين مكة المكرمة وما حولها من أماكن المشاعر المقدسة ، فيتجرد الرجل عن الزي والزينة ، ويستر جسمه

بثياب غير مخيطة ، أما المرأة فتبقى في ثيابها ، غير أنها تجتنب الزينة ، ويُحرم الحاج ناوياً أداء المناسك في المواقيت الزمانية ومن المواقيت المكانية المحددة ، ثم ينطلق مليئاً نداء ربه ، فيطوف بالبيت الذي أسسه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وجعله الله مثابة للناس وأمناً ، وأمر المسلمين بالتوجه نحوه في صلاتهم أينما كانوا ، ثم يسعى بين الصفا والمروة محاكياً أم إسماعيل في حيرتها بعد أن أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يتركها هناك مع وليدها ، ويرجو الحاج ربه أن يغيثه ويفرج عنه كما أغاثها وفرج عنها بنوع زمزم ، ثم يقف على صعيد عرفات بذلك اللباس متذكراً يوم يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين ، ثم يبيت بمزدلفة ذاكرًا داعياً عند المشعر الحرام ، ثم ينطلق بعد الفجر ، وقد بقي عليه الطواف بالبيت ورمي الجمار بمنى وحلق رأسه أو تقصير شعره ، ثم يذبح هديه فيأكل منه ويطعم الفقراء والأغنياء ، ويبقى عليه أن يبيت بمنى يومين أو ثلاثة لرمي الجمار كل يوم ، ثم يطوف بالبيت مودعًا .

خصائص العقيدة الإسلامية :

تلك هي العقيدة الإسلامية بأركان الإيمان وأركان الإسلام ، من أنكر ركنًا واحدًا منها لا يسمى مسلمًا ، وتمتاز بخصائص وأهداف كثيرة متنوعة ، منها ما يلي

- ١ - وضوحها وبساطتها ، فلا غموض فيها ولا تعقيد .
- ٢ - تلاؤمها مع الفطرة الصافية والعقل السليم ، فليس فيها جانب يأباه أحدهما .
- ٣ - تقوم على العقل والعاطفة معًا ، فتحرر الفكر من الجفاف والتخبط الفوضوي والفلسفي .
- ٤ - نزوعها إلى الكمال الخلقي والسمو الروحي وربط المسلم بواقع الحياة .
- ٥ - تولد في نفس المسلم العزة والكرامة ، فتجعل المسلم لا يخضع إلا لخالقه .
- ٦ - تبعد المسلم عن القلق والحيرة وغير ذلك ، وتولد فيه الراحة النفسية والفكرية .
- ٧ - تُرْسِّخُ في القلب إخلاص النية وسلامة القصد ، وتمنعه من الانحراف .
- ٨ - توصل المسلم إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات .

علماء دين لا رجال دين :

إن صلة المسلم بربه مباشرة ، يصلي فيناجيه ، ويدعوه فيجيبه ، ويتوب من الذنب فيستغفره ، لا وجود في الإسلام لوسطاء بين الخالق وعباده في جميع الأحوال ، سواء كان ذلك عند الولادة أو الدخول في الإسلام أو التوبة أو الزواج

أو الموت أو غير ذلك من شؤون الحياة ، وإنما هناك علماء دين متخصصون في دراسة الدين والتبحر في علومه ، ليس لهم سلطة تشريع أو تحكم في الناس بمنح عفو أو قبول توبة أو إصدار لعن وحرمان ، وكل ما في الأمر أنهم يجتهدون في فهم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واستنباط الأحكام الفرعية العملية التي تعرض للناس في حياتهم ، لا يجوز لهم الخروج عن هذين المصدرين الرئيسيين ، وربما يخطئون في اجتهادهم فيرجعون عن فتاواهم ، وربما يتوقفون حتى يزول الالتباس ، من أصاب منهم فله أجران ، ومن أخطأ فله أجر .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

فالتخصص في العلوم الدينية والتبحر فيها فرض كفاية ، وعلى كل مسلم أن يتفقه في دينه ويمارس شعائره بنفسه ، فكل مسلم رجل دين ، غير أنه يسأل أهل الذكر ويتعلم منهم إن كان لا يعلم ثم يطبق ، ولا ريب أن الوساطة بين الله وعباده تساعد نفوذ الوسطاء وسيطرة من يسمون برجال الدين ، ويبقى الناس في جهل .

العبادة ومكارم الأخلاق

توطئة :

لا ريب أن المؤمن عندما يكون مع النبي أو على مقربة منه يسمع تعاليمه تدركه نفحات ربانية ، فيشعر بالاطمئنان وراحة النفس ، ويجد حلاوة الإيمان ، فينعكس ذلك على عبادته ومعاملته للناس ، وكذلك إذا كان قريب العهد من تعاليم النبوة ، غير أن ذلك الشعور ربما يتغير بين حين وآخر ، فتقسو القلوب ، وتتحكم الأهواء والشهوات في النفوس ، ولا سيما إذا بعد العهد بالأنبياء وتعاليمهم ، ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يلزم عباده بأفعال وأقوال يكررونها في أوقات متقاربة ، تذكّرهم بالإيمان بالله واليوم الآخر وسائر تعاليم الأنبياء ليبقى إيمانهم غصًا طريًا ، ويحتفظوا بمكارم الأخلاق وصدق المعاملات .

أ - العبادة

تعريفها وأنواعها :

العبادة لغة : الطاعة والخضوع ، وهي في الإسلام اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال

الإرادية الظاهرة والباطنة . وهي نوعان : عبادة بالمعنى الخاص وعبادة بالمعنى العام .

أ - فالعبادة بالمعنى الخاص : هي طاعة الله والخضوع له والتقرب منه بما شرع من أقوال وأفعال قلبية وبدنية ومالية . أو هي الأعمال المحددة التي كلف الله المؤمنين القيام بها ، كالأركان الخمسة وما يلحق بها من شعائر وأوامر ، وهي توقيفية ، فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه ، وليس لأحد أن يزيد فيها أو ينقص منها . وهي ثلاثة أقسام :

١ - عبادة بدنية ، فمنها القلبية والفكرية ، كالتركيز على الله والمحبة فيه وتدبر القرآن والتفكير في آلاء الله والصبر عند المصيبة والتسليم لقضاء الله وقدره .

ومنها القولية كقراءة القرآن والذكر والدعاء والاستغفار ونحو ذلك .

ومنها الجسدية أو الجسمية ، وهذا القسم منه ما يتأدى بالفعل كالصلاة ، ومنه ما يتأدى بالكف والامتناع كالصوم .

٢ - عبادة مالية ، كالزكاة وسائر الصدقات والمساهمة في الخيرات .

٣ - عبادة جامعة تتعلق بأكثر من جهة ، كالحج والجهاد والشكر على النعمة ونحو ذلك .

ب - والعبادة بالمعنى العام : هي الدينونة الشاملة لله في

كل شؤون الحياة . وتعني السير في الحياة وفق شرع الله وأحكامه ابتغاء رضوانه ، فهي تشمل جميع أعمال المرء الإرادية سواء كانت قلبية أو سلوكية ، فكل ما يقوم به من أمور عادية في حياته من فعل أو ترك كالطعام والشراب والرياضة البدنية وزيارة الأقارب والأصدقاء والكف عن المحارم وأداء الأمانة والوفاء بالعهد والإحسان إلى الجار والعمل في المهن وغير ذلك عبادة ، فالعادة تصبح عند حسن النية عبادة ، ومن هذا المنطلق يستطيع الإنسان أن يكون في عبادة دائمة .

من حكمتها :

تنزع العبادة إلى الكمال الخلقي والسمو الروحي والراحة النفسية والفكرية ، لأنها مع إخلاص النية تصل المسلم بخالقه فينشرح صدره ، وينتج عن ذلك إصلاح الأفراد والجماعات ونيل الثواب والمكرمات ، وتحمل العبادة الخاصة معنى الغاية والوسيلة معاً :

فهي غاية في حد ذاتها ؛ لأنها قرينة وطاعة للخالق ، تقوي علاقة المسلم بربه ، وتؤهله لحبه ورضاه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، فهي أساس الوجود الإنساني .

وهي من ناحية أخرى وسيلة نظراً لما تحتويه من تمارين عملية على تربية الوجدان الديني ودوافع الرغبة في الخير

وكره الشر ، فيتغلب على غرائزه وشهواته ويصحح سلوكه ليسير في الحياة وفق شرع الله وحكمه برغبة ذاتية ، فلكل عبادة وظيفة تظهر آثارها في الفرد والمجتمع .

فالصلاة المتكررة في اليوم والليلة تجعل العبد يستحي من ربه ويتعد عن الأعمال الشائنة . قال تعالى : ﴿إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النكبات : ٤٥] وهي مناجاة وصلة مباشرة وتجديد ودعاء .

والصوم ينمي في المسلم مراقبة الله تعالى في السر والعلن ، إذ لا يمنعه من الطعام والشراب عندما يكون خاليًا إلا اعتقاده بأن الله تعالى يراه ، فيعتاد على الإخلاص وتمام التسليم .

وهو يحرر المسلم من رق غرائزه وشهواته ، ويروض نفسه على ترك المحبوبات إيثارًا لحب الله وطلب مرضاته . وهو يريح البدن ويذكر بجوع الفقراء وبؤس البائسين ، فيدفع الصائم إلى مساعدة الناس وقضاء حوائجهم .

وهو يكبح جماح النفس ويقوي الإرادة ، ويعود على الصبر والتحمل وحسن الخلق .

قال رسول الله ﷺ : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » ^(١) .

وللزكاة المفروضة وصدقة التطوع حكم كثيرة ومصالح

(١) أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود .

عامة ، تظهر من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة .
فهي تطهر نفس الغني من الشح والأنانية ، وتنمي فيه
السخاء وروح التعاون ، وتطهر نفس الفقير من داء الحسد
والبغض والحقد ، فيعيشان متحابان . قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ
أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

وهي ضمان اجتماعي لما ينتج عنها من كفاية الفقير
وسد حاجته ، ومساعدة المنقطع في طريقه وإعانة من أصابته
جائحة وإكرامهم .

والحج غذاء روحي ، فيه ذكريات الأنبياء وتصميم على
طاعة الله ومخالفة وساوس النفس والشیطان ، فإن رمي
الجمار رمز واضح لاحتقار الشيطان ونزعاته .

وهو مظهر من مظاهر وحدة المسلمين ونمو روح المساواة
فيما بينهم ، فلا عنصرية ولا إقليمية ولا عصبية للون أو
جنس أو طبقة .

وهو وسيلة لتعارف المسلمين وتعاونهم على حل
مشكلاتهم ، وتبادلهم المنافع التجارية وغير ذلك مما فيه
مصلحة لهم .

وهو ترويض للنفس والبدن على بذل المجهود وركوب
المشاق ومفارقة الأهل والوطن والتضحية بالراحة وإنفاق المال
في طاعة الله وتعويد على النظام والصبر وحسن الخلق .

قال تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

[البقرة : ١٩٧] .

من مزاياها :

العبادة هي التعبير العلني عن العقيدة ، وهي الوسيلة إلى صلة الإنسان بخالقه ، فلا عقيدة بغير عبادة ، ولا خير في دين ليس فيه صلة بالله وصلاة له . ومن مزايا العبادة في الإسلام ما يلي :

١ - تعتمد على النية والقصد ، فهي امتثال لأمر الله وخالصة له وحده ، لا يشاركه فيها أحد ، ويفسدها الرياء . قال رسول الله ﷺ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » (١) .

٢ - تمتاز بالبساطة والاعتدال والسهولة والترخيص ورفع الحرج . قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .

٣ - متنوعة ومتعددة ليتجدد نشاط النفس وتتواصل تزيكيتها .

(١) متفق عليه .

ب - مكارم الأخلاق

التربية الخلقية :

الخلق عامل يؤثر في سلوك الإنسان ومقدرته على تكيف نفسه مع البيئة ، فهو عبارة عن شعور راسخ في النفس تصدر عنه الأفعال من غير حاجة إلى فكر وروية . أما التربية الخلقية فهي تدريب النفس على العادات الفردية والاجتماعية وفق المنهاج الذي جاء به الإسلام في القرآن والسنة المطهرة .

فالأخلاق صفة في النفس تؤثر في السلوك ، سواء كانت فطرية أو مكتسبة ، وقد أودع الخالق سبحانه في الإنسان عقلاً وفطرة يدرك بهما مكارم الأخلاق ومحاسن العادات وعكس ذلك ، ويسمي بعضهم هذا الإدراك بالضمير ، والنفس وبهذا التكوين لديها استعداد للنمو الخلقى .

الأخلاق في الإسلام :

دعت الرسالات السماوية جميعاً إلى التمسك بالأخلاق الفاضلة ، لأنها أساس الإصلاح لكل مجتمع ، ونهت عن الأخلاق الذميمة وحذرت منها ، لأنها دليل انهيار المجتمع ، ولذلك اهتم الإسلام بالتربية الخلقية وأحلها مكانة عالية :
● فمن الغاية التي بعث من أجلها محمد ﷺ الأخلاق ،

فقد قال : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » ^(١) . وعند أحمد : « مكارم الأخلاق » .

● وقد مدح الله نبيه محمداً ﷺ فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

● جعل الأخلاق الفاضلة ثمرة من ثمرات العبادة يظهر أثرها في سلوك الإنسان وتعامله مع غيره ، فالعبادات تربي الوجدان الديني والشعور الفطري كما سلف ، ولذلك ربط أيضاً بين العقيدة والأخلاق ، فقال النبي ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » ^(٢) .
ومع العبادة الصادقة والإخلاص لله تصبح الأخلاق الحميدة سجية للمسلم ، وتكون سريره أطيب من علانيته ، فتعلو درجته في الجنة .

قال النبي ﷺ : « ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني منازل يوم القيامة ؟ أحاسنكم أخلاقاً ، الموطؤون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون » ^(٣) .

وعند الترمذي : « إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً » .

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد والحاكم والبيهقي .

(٢) متفق عليه . (٣) أخرجه البخاري .

نماذج مما أمر به الإسلام أو نهى عنه من الأخلاق :

دعا الإسلام إلى أمهات الفضائل التي يسعد بها الفرد والمجتمع ، كالصبر والحلم والعفو والصدق وقول الحق وأداء الأمانة المادية والمعنوية وصحبة الأخيار والإيثار ونحو ذلك من الفضائل .

ونهى عن الكذب والغش والخيانة وظن السوء والتجسس والحسد والغيبة والنميمة واحتقار الآخرين ونحو ذلك من الرذائل التي تسبب العداوة بين الناس .

وقد احتوت الشريعة الإسلامية إرشادات أخلاقية في معاملة الناس والأصدقاء وغيرهم من أصحاب الحقوق الأدبية ، وبخاصة الأبوان ، وأولت العلاقات بين الأرحام وبين الجيران عناية خاصة .

قال رسول الله ﷺ : « من أحب أن ييسط له في رزقه ، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه » (١) .

وقال أيضًا : « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (٢) .

وقال أيضًا : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن

(١) أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي .

(٢) أخرجه الشيخان وأحمد وأبو داود والترمذي .

كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت» ^(١) .
وقال أيضًا : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد
امرأً فليتكلم بخير أو ليسكت واستوصوا بالنساء خيرًا » ^(٢) .
وقال أيضًا : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ
جاره ، واستوصوا بالنساء خيرًا » ^(٣) .

(١) أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي والبيهقي .

(٢) أخرجه مسلم . (٣) أخرجه البخاري .

الإسلام والبشرية أحباره

الفصل الثاني

النظم التشريعية وخصائصها

- ويحتوي على الفرعين التاليين :
- جوانب النظم التشريعية .
 - خصائصها .

جوانب النظم التشريعية

تعريفهما :

الشريعة ما شرعه الله لعباده من الدين وما سنه لهم من منهاج لتنظيم علاقتهم مع بعضهم في جميع نواحي الحياة . وقد احتوى التشريع الإسلامي المبثوث في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والمستنبط منهما على مبادئ سامية ونظم واضحة في جميع نواحي الحياة ، تدل على عظمته وأصالته وصلاحه وإصلاحه لكل زمان ومكان وأمة في حفظ الدين والعرض (أصالة النسل) والنفس والعقل والمال وغير ذلك ، وهو يعمل على إقامة الروابط الاجتماعية المادية والمعنوية والأخلاقية بين الناس جميعًا ، أفرادًا وشعوبًا وأممًا ، وينظمها على أساس من العدل والتعاون والمواطنة .

جوانب النظم في التشريع الإسلامي :

لبي الإسلام حاجة البشرية فجاء بأنظمة تتناول الجوانب كلها على غاية من الدقة والمرونة ، جمعت بين العدل والرحمة في معاملات الأمم والشعوب والدول ، ولبي حاجة المجتمع فجاء بأنظمة تضبط سلوكه ، وتعرف الأفراد بحقوقهم

وواجباتهم . وإليك تعريفاً موجزاً ببعض هذه النظم .

العلاقات بين الأمم والدول :

لا يحب الإسلام الظلم والاعتداء ، ولا يرضى أن يعتدي عليه أحد ، ولذلك جاء بنظام حدّد فيه علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في حالتها الحرب والسلام ، فأتى بأصول جمعت بين العدل والرحمة في معاملات الأمم والدول ، وأقر مبدأ حرية العقيدة والعبادة وما يتعلق بهما ، ويتجلى ذلك في حسن معاملة أهل الذمة من يهود ونصارى ومجوس ، وحسن معاملة المعاهد والمستجير ونحوهما ، وبين الهدف من الجهاد في سبيل الله والإعداد له وطرق التعامل مع الأعداء ، وقد تجلّى ذلك في المثالية والواقعية في محاربة الأعداء ومعاملة الأسرى والقتلى والحفاظ على العهود واتفاق الهدنة وغير ذلك ، وإذا تجلّت المثالية الخلقية في جهاد الأعداء ففي غيره من باب أولى .

نظام الحكم :

لا بد من وجود نظام للحكم يعرف الإنسان ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، ويشرف على تنفيذ الأنظمة والقوانين ، وقد جاء الإسلام بنظام للحكم بين فيه الأسس التي تقوم عليها العلاقة بين الحاكم والمحكوم وواجبات كل منها والهدف من الحكم والصفات التي يجب أن تتحقق

في الحاكم ، وأساس ذلك المبايعة الصحيحة للحاكم ، والشورى والعدل منه ، والطاعة في غير معصية من المحكوم مع حفظ الكرامة .

نظام المال :

المال قوام الحياة ، ولذلك حدد الإسلام موارده ومصادره ، فأباح وسائل الكسب الطيب في التجارة والزراعة والصناعة ، وحرم الكسب الخبيث ، وأباح الإنفاق في وجوه الخير ، وأوجب الإنفاق في بعض السبل ، وحرم الإنفاق في وجوه الشر وإتلاف المال ، ونظم التعامل المباح بالأموال والماديات كالبيع والإجارة والرهن والهبة والوصية وغير ذلك ، وجعل أساس ذلك التراضي التام وتحريم أكل أموال الناس بالباطل .

نظام العمل :

حدد فيه علاقة العامل بصاحب العمل وعلاقة صاحب العمل بالعامل ، وبين واجبات كل منهما وحقوق وواجبات الدولة نحو العمال وتأمين العمل للقادرين عليه ، حماية لهم من التسول ، وحفظاً للمجتمع من أن تنتشر فيه السرقة .

نظام الجنايات والعقوبات :

ولصيانة المجتمع من الفوضى والاضطراب حدد الإسلام الجنايات وعقوباتها المناسبة والرادعة من سرقة وزنى وقتل

وقطع طريق وخروج على الدولة بغير حق وغير ذلك ، وقد أتى بتشريعات جمعت بين المثالية والواقعية العادلة في القصاص والحدود والتعزيرات وعقوبات سائر الجرائم . قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَبِ ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

التكافل الاجتماعي :

ليكون المجتمع وحدة متماسكة أقام الإسلام نظام التكافل في الأسرة والمجتمع ، وسدَّ سبل الاحتياج . فقد فرض نظام الزكاة ، وجعله ركناً من أركان الإسلام كما سلف ، وشرع معها صدقة التطوع ورغب فيها بإثارة مشاعر الرحمة في النفوس المؤمنة .

قال النبي ﷺ : « من نفَّس عن مؤمنة كُربة من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة .. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » (١) .

وقال أيضاً : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وشبك بين أصابعه » (٢) .

وفي رواية مسلم والطبراني في الأوسط : « أنا وكافل

(١) أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود .

(٢) أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود والترمذي .

اليتم له أو لغيره في الجنة ، والساعي على الأرملة والمسكين
كالمجاهد في سبيل الله » .

حرية الرأي :

الرأي هو منتهى ما يستقر في الذهن بعد البحث
والتفكير والتمحيص ، ومن حق الفرد أن يبدي رأيه في سير
الأمر العامة ضمن المشاورة والتشاور دون التعدي على
حرمات الآخرين أو مقدساتهم ، ومن حق المجتمع أن ينتفع
بثمرة آراء أفراد ضمن هذا النطاق ، وحين تسود العدالة
والإنصاف والاحترام مجتمعًا ما تنصرف كل طاقاته إلى
العمل المثمر في جو من الاطمئنان دون جور أو إجحاف .

نظام الأسرة :

بما أن الأسرة هي اللبنة الأولى في تكوين المجتمع ، فقد
حدد الإسلام مفهومها وصفة بنائها من الخطبة حتى
الزواج ، ونظم العلاقات بين أفرادها من خلال واجبات
وآداب يراها كل من الزوجين داخل البيت وخارجه
لتستمر المودة والرحمة بينهما ، ودرعًا للأخطاء
والاختلاف ، وشرع قواعد رحيمة حكيمة بين فيها
أحكام النفقة والطلاق والعدة والميراث بعد الوفاة حيث وزع
التركة بين أفراد الأسرة توزيعًا عادلًا مناسبًا ، فقد أمر الزوج
بالعمل والتكسب لينفق على أسرته ، وأوصاه بزوجه خيرًا

وأكد على حسن معاشرتها وإكramها ، وبَغْض إليه الفرقة ،
وَحَمْلُهُ من تبعاتها ما يجعله يتوقف ويفكر كثيرًا قبل الإقدام
على الطلاق ، وأمر الزوجة بالأمانة في حفظ مال زوجها
ومصالحه ورعاية أولادهما ، ونهاها عن إدخال أحد بيته
إلا بإذنه درءًا للفساد والإفساد ، وأمرها بالتحبب إلى
زوجها وحسن معاشرته ، فإذا عرف كل واحد واجبه
وراعى آدابه كان البناء متماسكًا لا تنال منه الأعاصير ،
وساهم في بناء المجتمع وإصلاحه .

إكram المرأة :

رد الإسلام الرجل والمرأة إلى أصل واحد ، ومزج بينهما
مزجًا لا يفصل ، فقال تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا
وَنِسَاءً ﴾ [النساء : ١] ، فهما من جنس واحد ، وليست أدنى
من الرجل ، وَوَجَّهَ خطاب التكليف إليهما معًا ، فالمساواة
قائمة بينهما في القيم الإنسانية والتكاليف وسائر الحقوق
العامة ، غير أنه ثمة فرق بينهما في بعض الأحكام تبعًا
لاختلاف وظيفة كل منهما في الحياة نتيجة لاختلاف
الجسم والطبيعة التي فطر الله كل واحد منهما عليها ، قال
تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ
دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

فما هذه الدرجة .

نظر الإسلام بعين العدل والرفقة إلى المرأة ، فألزم الرجل بدفع مهر لها قبل الزواج هدية بدون مقابل ، وحمله النفقة عليها والقيام بأعباء البيت والنفقة على الأولاد فيما بعد دونها ، فهي ليست ملزمة بالإنفاق حتى على نفسها ولو كانت غنية ، ومالها الخاص بها مصون ، لا يحق لزوجها أن يأخذ منه شيئاً إلا عن طيب نفسها ، فلقاء ذلك كله كان الطلاق بيد الرجل ، إذ هو الخاسر الذي سيتحمل مغبة ذلك بالإضافة إلى نفقتها في أثناء العدة بعد الطلاق وعبء الأولاد ، ولها هي إذا كان زوجها سيء التصرف أو قصر في حقوقها ، ولم تنفع محاولات الإصلاح أن تطلب الطلاق منه أو المخالعة التي يتم بها التراضي على الفراق ، فإن أبي فلها أن ترفع الأمر إلى القضاء ويفرق القاضي بينهما .

أما في الميراث فالمرأة على النصف من نصيب الرجل في أكثر الحالات ، ومن الحكمة في ذلك أنها من أول حياتها إلى نهايتها مكفولة من حيث النفقة غير ملزمة بالنفقة على أحد ولو كانت غنية ، فحينما تكون صغيرة أو فتاة لها حق النفقة على والدها حتى تتزوج وحينما تتزوج لها على زوجها المهر والنفقة كما سلف ، وحينما تصبح أرملاً أو مطلقة فنفقتها على أولادها البالغين ، وإذا لم يكن لها أولاد

فعلى إختوتها الموسرين ، لأنها غير ملزمة بالعمل ، وثمة فرق بين حقها في العمل المصون وبين إلزامها بالعمل .

ومن الحكمة في ذلك أيضًا أن المتوفى لو كان حال حياته فقيرًا عاجزًا عن الكسب ، فإن نفقته تكون على أبنائه دون بناته ، وإذا لم يكن له أولاد ، فعلى إختوته دون أخواته ، وهنا يظهر أحد معاني القاعدة الفقهية المستنبطة من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة « الغنم بالغرم » أو « الغرم بالغنم » ، فمن حق من يغرم أن يغنم ، ومن حق من يغنم أن يغرم .

تنبيهات :

١ - إنما شرع الطلاق لحكم كثيرة ، والأولى أن يكون آخر العلاج ، فقد قال النبي ﷺ « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » ^(١) ، وجعله على ثلاث مراحل ، إثر كل مرحلة عدة لا يجوز للمرأة أن تتزوج في أثناءها لمعرفة براءة الرحم ،

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه وغيرهما عن ابن عمر والطبراني عن كعب ابن عُجرة ، والدارقطني والحاكم في المستدرک عن معاذ بن جبل بلفظ « ما أحل الله شيئًا أبغض إليه من الطلاق » ، والبخاري بلفظ « لا تطلق النساء إلا من رية ، لا يحب الله الذواقين ولا الذواقات » . وأسانيده ضعيفة كما ذكر ابن الجوزي وأبو حاتم وابن حبان ، وقال المنذري : المشهور المرسل ، وهو غريب . ا. هـ. غير أن معناه موافق لأحاديث كثيرة صحيحة تنفر من الطلاق ، لأنه علاج .

ولإتاحة فرصة المراجعة بعد الطلقتين الأوليين . وقد عاب قوم على التشريع الإسلامي إقراره الطلاق مدعين أن ما وصله الله لا يقطعه إنسان ، وهذه مغالطة ، فما وصله الله بعقد يجريه إنسان ، يفرقه الله بعقد آخر يجريه إنسان إذا دعت المصلحة إليه . ومن العجيب أن تصبح نسبة الطلاق بين الشعوب الأوربية والأمريكية أعلى النسب في العالم ، ويتم الطلاق لأنفه الأسباب بعد أن كان محرماً .

٢ - إنما أباح الإسلام تعدد الزوجات إلى أربع لحكم كثيرة ومصالح لا تخفى على المتأمل ، واشترط تحقيق العدل ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ ﴾ [النساء : ٣] أي فتزوجوا واحدة ، وقال النبي ﷺ : « خيركم خيركم لأهله من بعدي » (١) .

ومن العجيب الغريب أن يعيب أقوام على التشريع الإسلامي إباحة تعدد الزوجات إلى أربع - مع أن أنبياء الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وداود وسليمان وغيرهم ﷺ كانت لهم زوجات متعددة ، بل كثيرة عند بعضهم . علماً بأن ظاهرة معاشرة رجل أكثر من امرأة منتشرة في أنحاء العالم ، غير أنها عند المسلمين بعقد حلال يحفظ كرامة المرأة وكرامة أهلها ونسلها ، وعند غيرهم بدون ذلك ، وإنما لقضاء

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک .

الوטר . فأبي المجتمعات أكرم (١) ؟

خصائص النظم الإسلامية وميزاتها :

الشريعة الإسلامية ليست من وضع البشر ، وإنما هي ربانية ، مصدرها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وهي تمتاز عن الأنظمة والقوانين الوضعية بأمر كثيرة ، أهمها ما يلي :

١ - التلازم التام والترابط بين النظم وبين العقيدة والعبادة والأخلاق :

فالإسلام وحدة متماسكة ، لا تنفصل فيه عقيدة عن عبادة ، ولا نظام عن عقيدة وعبادة وأخلاق ، فالنظم كلها ترتكز على العقيدة ، والمسلم يقوم بتنفيذها استجابة لأمر الله ، فهي عبادة بالمعنى العام ، وهي لا تنفك عن الأخلاق ، لأن العبادة التي أمر الله بها لا تكون مقبولة حق القبول إلا إذا ظهر أثرها في سلوك الإنسان ومعاملته مع غيره . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

٢ - ارتباط العقاب الأخروي بالجزاء الدنيوي :

يقترن بالقوانين الوضعية عقوبات لضمان تنفيذها

(١) من أراد زيادة فليطالع كتاب التكافل الاجتماعي في الإسلام لمحمد أبو زهرة ، والأسرة في الشرع الإسلامي للدكتور عمر فروخ ، والمرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعي .

والحفاظ على أحكامها ، ويستطيع كثير من الناس أن يتحايلا على القوانين ويفلتوا من المؤاخذه والعقاب ، بينما يبدأ دين الإسلام في تطبيق نظمه من داخل الإنسان نفسه أولاً ، لأن الأنظمة كلها قائمة على الإيمان بالله ومراقبة ثوابه وعقابه ، فالمسلم الحق يلتزم بالأحكام ، وينفذها وفق الأخلاق التي نادى بها الإسلام ، سواء كان خالياً أو بين الناس ، وسواء كان من يتعامل معه ذا خبرة أو مغفلاً ، وسواء كان حاكماً أو محكوماً ، لأنه يوقن أن عين الله ساهرة ، ولئن أفلت من يد العدالة في الدنيا فلن يفلت من عدالة الله في الآخرة ، وهذا ما يسمى بالوازع الديني .

تنبيه : إن الاضطرابات النفسية المتنوعة التي يعاني منها كثير من الناس اليوم يعود جانب كبير من أسبابها إلى خلو الأنظمة والقوانين الوضعية من فكرة روحية تربطها بالخالق ، وتجعل من نفس الإنسان وضميره الذاتي رقيباً عليه في الالتزام والتنفيذ ، لأنها إنما تقوم على تقديس المادة وتجاهل الروح ، ودون النظر إلى طاعة الله أو معصيته .

٣ - شمولها :

إن رسالة الإسلام لا تختص بأمة دون أمة ولا بعرق دون عرق ولا بزمان دون زمن ، بل هي عامة للناس كلهم منذ بعث النبي محمد ﷺ إلى قيام الساعة . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] وقال سبحانه :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، ولذلك فهي تمتاز بما يلي :

أ - شمول أنظمتها جميع ما يحتاجه الإنسان من عقيدة وعبادة وأخلاق وأنظمة سياسية واجتماعية ومالية وغير ذلك كما سلف .

ب - صلاحها وإصلاحها لكل زمان ومكان وأمة ، لا يقوم بإصلاح البشرية الحقيقي غيرها ، لأنها صادرة عن العليم الخبير الذي يعلم ما يصلح لعباده .

ج - جمعت بين الثبات والتطور : فالتشريع الإسلامي ثابت في مبادئه وأساسه وأهدافه ، مواكب للتطور في فروع أنظمتها ، لما فيه من التيسير ورفع الحرج ومراعاة مصالح الناس ، بخلاف تشريع البشر ، فإنه ناقص متغير حتى في أساسه لما فيه من قصر النظر .

د - جمعت بين الحسنيين : الواقعية العادلة والمثالية السامية ، وبذلك انسجمت مع واقع حياة الناس ، ولم تطلب من جميعهم مثالية لا يتحملها إلا بعضهم ، كالإيثار على النفس ، والتنازل عن الحق والعفو عن الإساءة ، وإنما حضت عليها .

وصفوة القول : هذا هو دين الإسلام وهذه هي شريعته ، يأمر بتوحيد الله المطلق ، وينهى عن الإشراك ، يأمر بالصدق والأمانة ، وينهى عن الكذب والخيانة ، يأمر بالعدل والوفاء ،

وينهى عن الجور والغدر ، يأمر ببر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار ، وينهى عن عقوق الوالدين وقطيعة الرحم والإساءة إلى الجار ، فهو يأمر بكل خير وينهى عن كل شر . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿ [النحل : ٩٠ - ٩١] .

وهذه هي نظمه التشريعية المبنوثة في الكتاب والسنة ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، تحل الطيبات وتحرم الخبائث ، تدعو إلى العدل وتحرم الظلم ، تريد الإنصاف وتحض على المثالية ، لم يبق من معروف تعرفه العقول السليمة إلا أتت الشريعة الإسلامية به ، ولا منكر تنكره العقول السليمة إلا نهت عنه ، لم تأمر بشيء تقول العقول السليمة والفطر الصافية ليتها لم تأمر به ، ولم تنه عن شيء تقول العقول السليمة والفطر الصافية ليتها لم تنه عنه ، فهي تحل الطيبات لا تحرم شيئاً منها ، وتحرم الخبائث لا تحل شيئاً منها . وهذا أمر طبيعي في دين أتمه الله ، وجعل رسالته عالمية للناس كلهم ، وختم به الشرائع .

قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

المحتوى

٣	 المقدمة
١١	 القسم الأول : البشرية والنبوة
١٣	 الفصل الأول : النبوة والعقل
١٥	 الفطرة والعقل والإيمان بالخالق
١٥	 توطئة
١٥	 الوجود الحق
١٧	 الإسلام دين التوحيد الخالص
١٨	 الأنبياء جميعًا دعوا إلى التوحيد
٢١	 التفكير في الخلق وليس في ذات الخالق
٢٣	 أسماء الله وصفاته توقيفية
٢٥	 ضرورة النبوة
٢٥	 قصور العقل والحواس
٢٧	 زيفان العقل وفساد الفطرة
٢٧	 تعريف الإنسان بالأمور الغيبية
٢٨	 مقومات الروح ومقومات البدن
٢٩	 إنزال الشرائع السماوية ضرورة اجتماعية
٢٩	 صفوة القول في ضرورة النبوة
١٩٧	

٣٠	تنبيهات هامة
٣١	وحدة الأنبياء في الدعوة والهدف
٣٣	صفات الأنبياء
٣٣	الصدق والأمانة
٣٤	الفطانة
٣٥	السلامة من العيوب المنفرة
٣٥	التبليغ
٣٦	الذكورة
٣٦	العصمة
٣٨	صفوة القول في الصفات
	أسفار العهد القديم تتهم الأنبياء بأمر تنافى مع
٣٨	مركزهم
٤٢	إيمان المسلمين بنبوة المسيح ابن مريم
٤٧	الفصل الثاني : دلائل نبوة محمد ﷺ
٤٩	الدلائل التي في ذاته وصفاته
٤٩	توطئة
٤٩	شرف نسبه
٥٠	خلقته وصورته التي توحى بالثقة

٥١	صفاته العظيمة
٥٣	الدلائل الخارجة عن ذاته وصفاته
٥٣	معجزاته المادية وإخباره بالغيب
٥٥	الإخبار بالغيب الماضي
٥٦	الدليل على أن هذه القصص وحي
٥٦	مما يدل على أنه لم يأخذه من كتاب
٥٨	مما يدل على أنه لم يتعلم من إنسان
٥٩	الإخبار بما غاب عنه في زمانه
٦١	الإخبار بالغيب المستقبل
٦٣	مما أخبر به ووقع لاحقًا ورآه أصحابه
٦٤	مما أخبر به ووقع بعد زمانه ورآه الناس
٦٦	ومما أخبر به ولما يقع والمسلمون ينتظرونه
٦٩	المعجزة الكبرى القرآن الكريم
٦٩	تعريفه
٦٩	وجوه إعجازه
٩٦	الإعجاز اللغوي
٧١	الإعجاز المعنوي
٧٢	الإعجاز التشريعي

٧٢	الإعجاز العلمي
٧٣	التوافق التام بين الحقيقة القرآنية والحقيقة العلمية
٧٤	أمثلة الإعجاز العلمي
٧٩	الفصل الثالث : بشارات الأنبياء به
٨١	توطئة وتمهيد
٨٢	حتمية تبشير الأنبياء به
٨٤	ميثاق النبيين
٨٥	من بشارات العهد القديم
٨٥	بشارة موسى بنبي يماثله
٨٧	المبعوث في جبل فاران
٨٩	استبدال العرب بيني إسرائيل
٩٠	خاتم النبيين
٩١	من بشارات العهد الجديد
٩١	المؤيد بنصر الله
٩٢	المسيح يبشر بأحمد
٩٩	نصارى عرفوا معنى الفارقليط واعتنقوا الإسلام
٩٩	القَس الأسباني إنسلم تورميذا
١٠٢	المستشرق الإيطالي كارلو نيلنو يفسر

١٠٣	 البروفسور ديفيد بنجامين كلداني
١٠٤	 المفكر الفرنسي الدكتور موريس بوكاي
١٠٥	 القبلية الجديدة
١٠٧	 منتظر الأمم
١١١	 الفصل الرابع : البعثة وأدوار الدعوة
١١٣	 توطئة وتمهيد
١١٤	 البعثة
١١٧	 الدور المكّي والصبر على الاضطهاد
١١٧	 الدعوة إلى الله سرّاً
١١٨	 الجهر بالدعوة
١١٩	 الاضطهاد والمصايرة
١٢١	 إجابة أهل المدينة ومبايعتهم
١٢٣	 الدور المدني والإذن بالقتال
١٢٣	 الهجرة والمؤاخاة
١٢٤	 الإذن بالقتال
١٢٥	 الجهاد المشروع والظلم الممنوع
١٢٩	 أقوال منسوبة للمسيح ظاهرها العنف
١٣١	 لا إكراه في الدين
٢٠١	

أصناف الناس في نظر الإسلام	١٣٢
جوانب من جهاد المسلمين العادل الرحيم	١٣٣
فتح مكة	١٣٣
الفتح الأول للقدس	١٣٤
الفتح الثاني للقدس	١٣٧
وثائق تاريخية عن فظائع الحروب الصليبية	١٣٨
صفوة القول في الدلائل	١٤١
القسم الثاني : تعريف موجز بدين الإسلام	١٤٣
الفصل الأول : خصائص الدين الإسلامي وأركانه	١٤٧
خصائص الدين الإسلامي	١٤٧
تعريفه	١٤٧
خصائصه	١٤٨
منزلة العقل في الإسلام	١٥٠
أقسام العلوم الدينية	١٥٢
العقائد	١٥٣
تعريف العقيدة	١٥٣
أثرها في الحياة	١٥٣
أركان الإيمان	١٥٣

الإيمان بالله والملائكة	١٥٤
الإيمان بالكتب	١٥٥
التوراة	١٥٧
الإنجيل	١٥٨
ميزان التوثيق	١٥٩
صفوة القول في أسفار أهل الكتاب	١٦٠
الإيمان بالرسل	١٦١
الإيمان باليوم الآخر	١٦٣
الإيمان بالقدر خيره وشره	١٦٣
أركان الإسلام	١٦٥
الشهادة	١٦٦
إقام الصلاة وإيتاء الزكاة	١٦٦
صوم رمضان وحج البيت	١٦٧
خصائص العقيدة الإسلامية	١٦٨
علماء دين لا رجال دين	١٦٩
العبادة ومكارم الأخلاق	١٧١
توطئة	١٧١
العبادة	١٧١

١٧١	تعريفها وأنواعها
١٧٣	من حكمتها
١٧٦	من مزاياها
١٧٧	مكارم الأخلاق
١٧٧	التربية الخلقية
١٧٧	الأخلاق في الإسلام
١٧٩	نماذج مما أمر به الإسلام أو نهى عنه من الأخلاق ...
١٨١	الفصل الثاني : النظم التشريعية وخصائصها ...
١٨٣	جوانب النظم التشريعية
١٨٣	تعريفهما
١٨٣	جوانب النظم في التشريع الإسلامي
١٨٤	العلاقات بين الأمم والدول
١٨٤	نظام الحكم
١٨٥	نظام المال
١٨٥	نظام العمل
١٨٥	نظام الجنايات والعقوبات
١٨٦	التكافل الاجتماعي
١٨٧	حرية الرأي

١٨٧	 نظام الأسرة
١٨٨	 إكرام المرأة
١٩٠	 تنبيهات هامة
١٩٢	 خصائص النظم الإسلامية وميزاتها
١٩٢	 ارتباط العقاب الأخروي بالجزاء الدنيوي
١٩٣	 شمولها
١٩٤	 صفوة القول في تعريف دين الإسلام
١٩٧	 الفهرس

* * *



هذا الكتاب

لقد تميزت الأمة الإسلامية بكونها خير أمة أخرجت للناس ؛ لما تميزت به من مقومات خاصة ؛ لكنها الآن ضالة في قفار التيه والظلام ؛ فقد بهرها بريق التقدم العلمي والتكنولوجي ؛ لكنها تناست لجوءهم إلى عيادات الطب النفسي أو الانتحار . وتتابع على ذلك تقليد متعصب وهوى أعمى فتح على الأمة دوائر الإلحاد . وقد أبرزنا مزايا الإسلام الفريدة لهؤلاء التائهين الحاشرين - موضحين دلائل نبوة الرسول ﷺ ؛ متوخين إزالة الشبهات المثارة حول النظم الإسلامية ؛ في محاولة لتكوين مرآة صادقة تستوقف كل ذي عقل رشيد .

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ طهورية

هاتف : ٢٧٠٤٣٨٠ - ٢٧٢١٥٧٨ - ٥٩٣٣٢٠ - ٤٠٥٦٦٢

فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢)

الاسكندرية - هاتف : ٥٩٣٣٢٠٥ - فاكس : ٥٩٣٣٢٠٤ (٢٠٢)

email:info@dar-alsalam.com

www.dar-alsalam.com